التعليق الممتع

على

القواعد الأربع

لشيخ الإسلام الإمام المجدد

محمد بن عبد الوهاب

(١١١٥-١٢٠٦هـ)

ـ رحمه الله ـ

بقلم

خالد بن قاسم الردادي

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

فإنَّ رسالة(القواعد الأربع) للإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب-رحمه الله-:رسالة قيّمة عظيمة الفائدة تُعْنَى بـــ(التحذير) من (شَبَكَةِ الشِّرْكِ) وتمييز المسلم من المشرك.

وفي هذه الرسالة يؤكد الإمام-رحمه الله-ماذكره وقعّده في بعض مؤلفاته الأخرى من وجوب العناية بالتوحيد ،وإفراد العبادة لله تعالى وحده لاشريك له، والحذر من الشرك وأهله،وأنّ الشرك إذا خالط العبادة أفسدها...

وقد تيسر لي-ولله الحمد-شرح هذه القواعد عدة مرات،في عدة مناسبات، كما قمت -أيضا- بالعناية بشرح شيخنا الدكتور صالح الفوزان -حفظه الله- وطباعته طبعةً لاقت قبولاً ورواجاً والحمد لله على توفيق وفضله.

ولأهمية هذه الرسالة -على صغر حجمها-رأيت أنها بحاجة لمزيد من العناية والشرح ،فقمت بكتابة هذا الشرح بدرر أودعتها وبنكت حررتها ،رافعة لحجابها ،كاشفة لنقابها، مكملة لشواهدها ،متممة لفوائدها ،كافية لمن اقتصر عليها ،وافية ببغية من جنح من الطلاب إليها .

والله المسئول أن ينفع بها كما نفع بأصلها ،وأن يذلل لنا طرق الخيرات وسبلها ،إنه جواد كريم رؤوف رحيم، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب،وهو حسبي ونعم الوكيل.

وكتب:

خالد بن قاسم الردادي

أبوياسر

المدينة النبوية

١٤٢٥/١٢/٢٦هـ

ترجمة المؤلف

لقد ترجم للشيخ الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله- كثير من العلماء و المؤرخين والأدباء والكتاب وأصحاب التراجم ..كثرة لم تقع إلا للأعلام المجددين.

اسمه و نسبه :

هو محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي بن محمد بن أحمد بن راشد بن بريد بن محمد بن بريد بن مشرف بن عمر من أوهبة بني تميم.

مولده ونشأته العلمية :

ولد الشيخ محمد بن عبد الوهاب-رحمه الله- سنة ألف ومائة و خمس عشرة (١١١٥ هـــ) ، من هجرة المصطفى -صلى الله عليه وسلم- ، في بلدة العيينة على الصحيح .

تعلم القرآن وحفظه عن ظهر قلب قبل بلوغه عشر سنين ، و كان حاد الفهم وقّاد الذهن ذكي القلب سريع الحفظ ، قرأ على أبيه في الفقه ، و كان رحمه الله في صغره كثير المطالعة في كتب التفسير والحديث وكلام العلماء في أصل الإسلام ، فشرح الله صدره في معرفة التوحيد وتحقيقه ومعرفة نواقضه المضلة عن طريقه ، و جدّ في طلب العلم وأدرك و هو في سن مبكرة حظاً وافراً من العلم ، حتى إن أباه كان يتعجب من فهمه ويقول : لقد استفدت من ولدي محمد فوائد من الأحكام.

وهكذا نشأ الشيخ محمد بن عبد الوهاب نشأة علمية ؛ فأبوه القاضي كان يحثه على طلب العلم و يرشده إلى طريق معرفته ، ومكتبة جده العلامة القاضي سليمان بن علي بأيديهم ، و كان يجالس بعض أقاربه من آل مشرف وغيرهم من طلاب العلم ، و بيتهم في الغالب ملتقى طلاب العلم وخواص الفقهاء سيما الوافدين باعتباره بيت القاضي ، ولا بد أن يتخلل اجتماعاتهم مناقشات ومباحث علمية يحضرها الشيخ محمد بن عبد الوهاب .

رحلة الشيخ وطلبه للعلم:

توجه الشيخ للرحلة في طلب العلم ؛ للتسلح بسلاح ماض قاطع ؛ فإن إنكار الشيخ للمعتقدات الخاطئة الشائعة في زمنه بين الناس جعلته في مواجهة مع علماء السوء وتلبيساتهم وشبهاتهم ، وتأليب العامة عليه ، و تهتمهم إياه بالانحراف والجهل ، فكان كل ذلك يزيد من حرصه على تحصيل العلم وإدراك الحق ؛ فلابد أن يرحل في طلب العلم وتحقيق ما شرح الله له صدره من حقيقة هذا الدين القيم على أيدي حملته العدول، الذين لن تخلو منهم الأرض ولن ينقطع منهم زمان إلى قيام الساعة... فليرحل إلى مظانهم في أقطار البلاد الإسلامية، حيث إنهم لا يحصرون في مكان دون آخر، ولا زمان دون زمان؛ فإن للعلماء بقايا، وفي الزوايا خبايا.

فرحل الشيخ -رحمه الله-إلى مكة والمدينة والبصرة غير مرة ، طلباً للعلم .. و لم يتمكن من الرحلة إلى الشام ،ثم رجع إلى نجد يدعوهم إلى تصحيح العقائد السائدة بعقيدة السلف الصالح.

شيوخه:

سبق ذكر أن الشيخ تلقى العلم في نشأته العلمية في بلدة العيينة على والده الشيخ عبد الوهاب قاضي العيينة وعلى عمه الشيخ إبراهيم،وكذلك أخذعن كثير من العلماء في بلده،وفي رحلاته المتعددة إلى الحجاز والبصرة والأحساء،ومنهم:

١- الشيخ عبد الله بن إبراهيم بن سيف.
٢- الشيخ المحدث محمد حياة السندي(ت١١٦٥هـ).
٣- الشيخ محمد المجموعي البصري.
٤- الشيخ المسند :عبدالله بن سالم البصري(ت١١٣٤هـ).
٥- الشيخ عبد اللطيف العَفالقي الأحسائي.

دعوة الشيخ وصبره وجهاده:

قال ابن بشر-رحمه الله-: ((فلما تحقق الشيخ معرفة التوحيد ونواقضه، وما كان وقع فيه كثير من الناس من هذه البدع المضلة؛ صار ينكر هذه الأشياء، واستحسن الناس ما يقول، لكن لم ينهوا عما فعل الجاهلون، ولم يزيلوا ما أحدث المبتدعون)).

فبعد مضي سنوات على رحلة الشيخ -رحمه الله- في طلب العلم ، عاد إلى بلدة حريملاء التي انتقل إليها والده بعد أن تعين عليها أمير جديد يلقب بخرفاش بن معمر والذي لم يرق له بقاء الشيخ عبد الوهاب في القضاء ، فعزله عنه ، فغادرها الشيخ عبد الوهاب إلى حريملاء وتولى قضاءها وأقام بها . فأقام الشيخ

محمد بعد عودته من رحلته العلمية في حريملاء مع أبيه يدرس عليه ويدعو إلى التوحيد و يبين بطلان دعوة غير الله (١).

لقد ابتلي الشيخ -رحمه الله- فصبر على البلاء و ثبت حتى جاوز الامتحان والابتلاء ، و ما ذلك إلا تأييد الله له بروح منه وتقويته لإيمانه ، وأمثلة ذلك في حياته كثيرة ..

و لنأخذ أنموذجاً من أحوال الشيخ التي وقعت له ؛ ففي حالة إخراجه من العيينة طريداً منها كان سبب إخراجه -رحمه الله- من العيينة هو أن ابن معمر خاف من حاكم الإحساء من أن يقطع عنه المعونة ، فأخرج الشيخ -رحمه الله- من العيينة وتوجه إلى الدرعية ، فكان ابن معمر ممن آثر الدنيا على الدين وباع العاجل بالآجل لما تعارض في صدره أمر صاحب الأحساء وأمر الله تعالى .

لقد افتقد الشيخ حينئذ كل حظ من حظوظه الدنيوية المباحة ؛ افتقد ثقة الأمير وثقة الناس من حوله به و بما يدعو إليه من عقيد السلف الصالح ، وافتقد المسكن و المكانة و جميع الحظوظ النفسية والغايات الدنيوية ومشى وحيداً أعزل من أي سلاح ليس بيده إلا مروحة من خوص النخيل ، بيد أنه كان على ثقة من ربه ، والله قد قوي إيمانه حتى صغر في ميزانه أمر صاحب الأحساء وخذلان ابن معمر له وفراق الوطن والمال والأهل والزوجة والمسكن وما بقي لديه سوى إيمانه القوي ويقينه ولزومه لدعوة الناس إلى عقيدة السلف الصالح ، و حسن الظن بالله .. لقد سار من العيينة إلى الدرعية يمشي راجلاً ليس معه أحد في غاية الحر في فصل الصيف لا يلتفت عن طريقه ويلهج بقوله تعالى: {وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً *وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ }[الطلاق:٢،٣] و يلهج لسانه بالتسبيح وذكر الله، فلما وصل الدرعية قصد بيت ابن سويلم العريني ،

---

(١) انظر : الدرر السنية (٥/١٢) .

فلما دخل عليه ؛ ضاقت عليه داره وخاف على نفسه من الأمير محمد بن سعود ، فوعظه الشيخ وأسكن جأشه وقال : سيجعل الله لنا ولك فرجاً و مخرجاً(١) .

ثم انتقل الشيخ إلى دار تلميذ الشيخ ابن سويلم الشيخ أحمد بن سويلم ، و هناك بدأ التزاور بين خصائص أهل العلم من الدرعية ولما علموا بثبات دعوة الشيخ و أنها على سبيل الرسول صلى الله عليه وسلم أرادوا أن يشيروا على ابن سعود بنصرته ، فهابوه ، فأتوا إلى زوجته موضي بنت أبي وهطان من آل كثير و أخيه ثنيان .. وكانت المرأة ذات عقل ودين ومعرفة فأخبروها بمكان الشيخ وصفة ما يأمر به و ينهى عنه ، فوقر في قلوبهما معرفة التوحيد وقف الله في قلوبهما محبة الشيخ(٢).

دخل الأمير محمد بن سعود -رحمه الله- على زوجته فأخبرته بمكان الشيخ وقالت له: هذا الرجل ساقه الله إليك و هو غنيمة فاغتنم ما خصك الله به ، فقبل قولها ثم دخل على أخوه ثنيان وأخوه مشاري وأشاروا عليه مساعدته و نصرته .. أراد أن يرسل إليه ، فقالوا : سر إليه برجلك في مكانه وأظهر تعظيمه والاحتفال به ، لعل الناس أن يكرموه ويعظموه ، فذهب محمد بن سعود إلى مكان الشيخ و رحب به وأبدى غاية الإكرام والتبجيل وأخبره أنه يمنعه بما يمنع به نساءه وأولاده .. قال : أبشر ببلاد خير من بلادك وأبشر بالعزة والمنعة ، فقال الشيخ : وأنا أبشرك بالعزة والتمكين وهذه كلمة لا إليه إلا الله من تمسك بها وعمل بها ونصرها ؛ ملك بها البلاد والعباد ، وهي كلمة التوحيد وأول ما دعت إليه الرسل من أولهم إلى آخرهم وأنت ترى نجداً وأقطارها أطبقت على

---

(١) انظر :" عنوان المجد" لابن بشر (١١/١).

(٢) "الروضة" لابن غنام (٣/١).

الشرك والجهل والفرقة وقتال بعضهم بعض ؛ فأرجو أن تكون إماماً يجتمع عليه المسلمون وذريتك من بعدك (١) .

و هكذا تم اللقاء التاريخي بين الشيخ وأمير الدرعية الراشد محمد بن سعود؛ فقام بنصرته، ووفى بعهده، وأتم وعده؛ فأظهر الله عقيدة السلف الصالح، ونصر الله أهلها، وتوفر الشيخ لنشرها، وتدريس العلوم النافعة، وتأليف الكتب المفيدة في أصول الإسلام وفروعه على طريقة السلف الصالح، وانطلاقا من العقيدة السلفية السليمة.

عقيدة الشيخ السلفية:

أما عن عقيدة الشيخ -رحمه الله- فهي عقيدة السلف الصالح من هذه الأمة، عقيدة أئمة الهدى : أبي حنيفة والشافعي و مالك وأحمد وابن عيينة والثوري وابن المبارك والبخاري ومسلم وأبي داود وسائر أصحاب السنن وأهل الفقه والأثر -رحمهم الله -.

قال -رحمه الله- :((أشهد الله ومن حضرني من الملائكة،وأشهدكم أني اعتقد ما اعتقدته الفرقة الناجية،أهل السنة والجماعة))(٢)

ويقول في موضع آخر:((ولست ولله الحمد أدعو إلى مذهب صوفي أو فقيه أو متكلم أو إمام من الأئمة الذين أعظمهم مثل ابن القيم والذهبي وابن كثير وغيرهم .. بل أدعو إلى الله وحده لا شريك له وأدعو إلى سنة رسوله صلى الله عليه وسلم التي أوصى بها أول أمته وآخرهم وأرجو أني لا أرد الحق إذا أتاني بل أشهد الله وملائكته وجميع خلقه إن أتانا منكم كلمة من الحق لأقبلها على

(١) "عنوان المجد" (١٢١/١).

(١)"مجموعة المؤلفات"(٨/٥).

الرأس والعين .. ولأضربن الجدار بكل ما خالفها من أقوال أئمتي ، وحاشا رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه لا يقول إلا الحق))(١) .

تلاميذه:

لقد أخذ عن الشيخ -رحمه الله-العلم جمع غفير من الطلاب،تولوا من بعده مهمة الدعوة ورعاية الدولة،ومنهم:

١- الإمام المجاهد:عبدالعزيز بن محمد بن سعود(ت١٢١٨هـ).

٢- الأمير:سعود بن عبد العزيز بن محمد(ت١٢٢٩هـ).

٣- أنجاله:الشيخ حسين(١٢٢٤هـ)،والشيخ علي(ت١٢٤٥هـ)،والشيخ عبد الله(ت١٢٤٣هـ)،والشيخ إبراهيم.

٤- حفيده الشيخ عبد الرحمن بن حسن،مؤلف"فتح المجيد".

٥- الشيخ حمد بن ناصر بن مُعمَّر(ت١٢٢٥هـ).

٦- الشيخ حسين بن غنَّام(ت١٢٢٥هـ).

علم الشيخ وصفاته :

(كان الشيخ -رحمه الله تعالى- علماً من الأعلام ، ناصراً للسنة وقامعاً للبدعة ، خبيراً مطلعاً ، إماماً في لتفسير والحديث والفقه وأصوله ، وعلوم الآلة كالنحو والصرف والبيان ، عارفاً بأصول عقائد الإسلام وفروعها ، كشافاً للمشكلات ، حلالاً للمعضلات ، فصيح اللسان ، قوي الحجة ، مقتدراً على إبراز الأدلة وواضح البراهين بأبلغ عبارة وأبينها - تلوح على محياه علامات الصلاح وحسن

---

(٢) "مجموعة المؤلفات"(٥/٢٥٢).

السير ، وصفاء السريرة ، يحب العباد ويغدق عليهم من كرمه ويصلهم ببره وإحسانه ، ويخلص لله في النصح والإرشاد ، كثير الاشتغال بالذكر والعبادة ، قلما يفتر لسانه من ذكر الله .

وكان يعطي عطاء الواثق بربه ، ويتحمل الدَّين الكثير لضيوفه ومن يسأله .

وكان عليه أبهة العظمة ، تنظره الناس بعين الإجلال والتعظيم مع كونه متصفاً بالتواضع واللين ، مع الغني والفقير ، والشريف والوضيع .

وكان يخص طلبة العلم بالمحبة الشديدة ، وينفق عليهم من ماله ، ويرشدهم على حسب استعدادهم .

وكان يجلس كل يوم، عدة مجالس ليلقي دروسه في مختلف العلوم، من توحيد ، وتفسير،وحديث ،وفقه ،وأُصول وسائر العلوم العربية.

وكان عالماً بدقائق التفسير والحديث،وله الخبرة التامة في علله ورجاله، غير ملول ولا كسول من التقرير والتحرير،والتأليف والتدريس.

وكان صبوراً عاقلاً ،حليماً ، لا يستفزه الغضب إلا أن تنتهك حرمة الدين أو تهان شعائر المسلمين ، فحينئذ يناضل بسيفه ولسانه ، معظماً للعلماء ، منوهاً بما لهم من الفضائل ، آمراً بالمعروف ، ناهياً عن المنكر ، غير صبور على البدع ، ينكر على فاعليها بلين ورفق، متجنباً الشدة والغضب والعنف ، إلا أن تدعو إليه الحاجة .

ولا غرو إذا اتصف الشيخ بتلك السجايا الحميدة ، والأخلاق الكريمة ، فقد ورث تلك عن آبائه وأسلافه الأبرار ،لأنهم كانوا معروفين بالعلم والفضل والزهد)(١).

---

(١)"الشيخ محمد بن عبد الوهاب"لابن حجر آل بوطامي(ص٢٠).

مؤلفات الشيخ ورسائله:

قام الشيخ -رحمه الله - بتأليف عدد من الكتب والرسائل المهمة ، و قد امتازت مؤلفات الشيخ -رحمه الله- بسهولة العبارة،وتقريب المعنى بيسر وسهولة ،و أدلته التي يوردها في سائر مصنفاته كلها مأخوذة من القرآن والسنة ،وامتازت أيضاً بعنايته القصوى ببيان التوحيد وتقريره،وتقعيد عقيدة السلف في توحيد العبادة.

و هذه قائمة بأسماء بعض مصنفاته :-

١- التوحيد : و هو أشهر مؤلفاته ، و الاسم الكامل للكتاب هو : "كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد" .

٢- كشف الشبهات : ويعتبر تكملة لكتاب التوحيد.

٣- الأصول الثلاثة : و هي معرفة الرب ، و معرفة دين الإسلام ، و معرفة الرسول.

٤- شروط الصلاة و أركانها : و في هذه الرسالة شرح لشروط الصلاة وهي : الإسلام ، والعقل ، التميز ، رفع الحدث و إزالة النجاسة ، و ستر العورة و دخول الوقت واستقبال القبلة ، والنية ، و بيان أركان الصلاة و واجباتها .

٥- القواعد الأربع : -وهي رسالتنا هذه-.

٦-أصول الإيمان.

٧-فضل الإسلام : و قد وضّح فيه مفاسد البدع و الشرك ، كما وضّح شروط الإسلام .

٨-الكبائر : ذكر فيه جميع أقسام الكبائر ، مفصّلة في أبواب.

٩- نصيحة المسلمين.

١٠- ستة مواضع من السيرة : و هي رسالة مختصرة توضح ستة أحداث من السيرة النبوية

١١- تفسير الفاتحة.
١٢- مسائل الجاهلية : و ذكر فيه الشيخ مائة و إحدى و ثلاثين مسألة خالف الرسول -صلى الله عليه وسلم- فيها معتقدات أهل الجاهلية .

١٣- تفسير الشهادة : و هو تفسير لكلمة (لا إله إلا الله) ، وذكر فيها أهمية التوحيد.
١٤- تفسير لبعض سور القرآن : و هي مجموعة لبعض تعليقات الشيخ على آيات و سور مختلفة من القرآن و قد استنبط عشرات المسائل من آية واحدة ، و هذه هي أهم مزاياها .
١٥-مختصر سيرة الرسول: و هو ملخص من كتاب السيرة لابن هشام-رحمه الله- مع اعتماده على مصادر أخرى من بينها كتب الحديث.
١٦-مختصر الهدي النبوي : و هو ملخص لكتاب زاد المعاد لابن القيم -رحمه الله -(١).
وقد قامت جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية -مشكورة مأجورة-بجمع مؤلفات الشيخ الإمام وتحقيقها والعناية بها في كتاب واحد حافل من عدة مجلدات هو:
(مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب).

(١) انظر أيضاً حول مؤلفات الشيخ: "عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب" للعبود (١/ ١٩١ ٢٣٥) وقد فصَّل القول في هذه الكتب ،و تحدث أيضاً عن الكتب التي نسبت إلى الشيخ مثل كتاب "أحكام تمني الموت" ، و كتاب "نصيحة المسلمين بأحاديث خاتم المرسلين" ، كذلك رسالة"أوثق عرى الإيمان"، و "محمد بن عبد الوهاب مصلح مظلوم مفترى عليه" للندوي(ص ١٣٥-١٤٤) .

وفاة الشيخ -رحمه الله-:

في عام ست ومئتين وألف من هجرة المصطفى -صلى الله عليه وسلم- (١٢٠٦ هـــ) توفي الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله- .

قال ابن غنام: ((كان ابتداء المرض به في شوال ، ثم كان وفاته في يوم الاثنين من آخر الشهر)) (١).

وكذا قال عبد الرحمن بن قاسم (٢)، أما ابن بشر فيقول : ((كانت وفاته آخر ذي القعدة من السنة المذكورة))(٣).

وقول ابن غنام أرجح ؛ لتقدمه في الزمن على ابن بشر ومعاصرته للشيخ وشهوده زمن وفاته وتدوينه لتاريخه .

وكان للشيخ من العمر نحو اثنتين وتسعين سنة ، وتوفي ولم يخلف ديناراً ولا درهماً ، فلم يوزع بين ورثته مال ولم يقسم (٤).

وقد كتب في رثائه قصائد كثيرة تنضح بالوفاء والحب.

---

(١) "روضة الأفكار" (١٥٤/٢).

(٢) "الدرر السنية" (٢٠/١٢).

(٣) "عنوان المجد" (٩٥/١).

(٤) "روضة الأفكار" (١٥٥/٢).

مصادر ترجمته:

لمن رام المزيد عن حياة الشيخ الإمام المجدد-رحمه الله-و سيرته العطرة النيرة، ينظر الكتب التالية :

١-"روضة الأفكار والأفهام "(٢٥/١-٥٠)لحسين بن غنام.

"عنوان المجد في تاريخ نجد"(٦/١-٨٩،١٥-٩٦)لعثمان بن بشر.

" مجموعة الرسائل والمسائل النجدية "(٣٧٨/٣ - ٣٨٩).

"الدرر السنية" جمع عبد الرحمن بن محمد بن قاسم (٣/١٢-٢٥).

"علماء نجد خلال ستة قرون"(٢٥/١)لعبدالله بن عبد الرحمن البسام.

٢_(محمد بن عبد الوهاب)لأحمد بن عبد الغفور عطار ، و(داعية التوحيد محمد بن عبد الوهاب)لعبد العزيز سيد الأهل ، و(سيرة الإمام محمد بن عبد الوهاب) لأمين سعيد ، و (الشيخ محمد بن عبد الوهاب)للشيخ أحمد بن حجر آل بوطامي ، و(محمد بن عبد الوهاب،دعوته وسيرته)للشيخ عبدالعزيز بن باز،(الشيخ محمد بن عبد الوهاب حياته وفكره) للدكتور عبد الله الصالح العثيمين ، و(الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب في التاريخ) لعبد الله بن سعد الرويشد ، و(الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب حياته ودعوته) للدكتور عبد الله يوسف الشبل ، و (محمد بن عبد الوهاب مصلح مظلوم مفترى عليه)لمسعود عالم الندوي ،و(دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب سلفية لا وهابية) لأحمد بن عبد العزيز الحصين ..

٣- الرسائل الجامعية وهي كثيرة ومنها:

(عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية وأثرها في العالم الإسلامي) رسالة دكتوراه للدكتور صالح بن عبد الله العبود ، من قسم العقيدة بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية ،و(دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأثرها في العالم الإسلامي)

رسالة دكتوراه للدكتور أحمد بن عطية الزهراني من قسم العقيدة في جامعة أم القرى ، (دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب عرض ونقد)للدكتورعبد العزيز بن محمد العبد اللطيف ، رسالة ماجستير، و(الانحرافات العقدية والعلمية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين وآثارهما في حياة الأمة)للأستاذ علي بن بخيت الزهراني ، رسالة ماجستير ..

قَالَ الْمُؤَلِّفُ -رَحِمَهُ اللهُ-:

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

افتتح المؤلف -رحمه الله- هذه الرسالة المباركة بالبسملة كسائر رسائل أهل العلم ومؤلفاتهم، وذلك منه لعدة أمور:

١-اقتداء بكتاب الله تعالى؛ إِذْ هي أول آية فيه على قول بعض أهل العلم ، حَيْثُ افتتح الصحابة -رضي الله عنهم-المصحف العثماني بها وتلوها وتَبِعَهم جميعُ من كتب المصحف بعدهم في جميع الأمصار (١).

٢-و اتباعاً لهدي النبي ° في مكاتباته ومراسلاته ، ككتابته إِلى هرقل عظيم الروم كما جاء ذلك في حديث أبي سفيان -رضي الله عنه- في أول صحيح البخاري (٢).

٣-قال ابن حجر-رحمه الله-: "وقد استقر عمل الأئمة الْمُصَنِّفين على افتتاح كتب العلم بالبسملة ، وكذا معظم كتب الرسائل"(٣).

قوله : (بسم)

جار ومجرور ، وهما متعلقان بمحذوف تقديره فعل مؤخر مناسب للمقام تقديره بسم الله أكتب أو أصنف.

---

(١)انظر"فتح الباري"لابن حجر (٨/١)،"مجموع الفتاوى"لابن تيمية(٢٢/٤٣٩،٢٧٦)،"المغني"لابن قدامة(٢/١٥١)،"الاستذكار"لابن عبد البر(٢/١٧٦).

(٢)أخرجه البخاري(٧)،ومسلم(١٧٧٣).

(٣) "فتح الباري"(١/٩).

وقدرناه فعلاً لأن الأصل في العمل الأفعال ، وقدرناه مؤخراً لفائدتين:

الأولى: التبرك بالبداءة باسم الله سبحانه وتعالى.

الثانية: إفادة الحصر لأن تقديم المتعلق يفيد الحصر.

وقدرناه مناسباً لأنه أدل على المراد فلو قلنا مثلاً عندما نريد أن نقرأ كتاباً بسم الله نبتدئ ، لكن بسم الله نقرأ يكون أدل على المراد الذي أبتدئ به.

. والاسم في اللغة مشتق من (السُّمُو)وهو العلو والارتفاع (١)، وهو اللفظ الدال على مسمى وما كان لْمُسَمَّى (٢).
وحذفت الألف من (بسم الله) في الخط اختصارا وتخفيفا لكثرة الاستعمال،والباء للمصاحبة أو الاستعانة.

قوله : (الله)

مخفوض على الإضافة،وهو علم على الباري-جلّ وعلا-،وهو أعرف المعارف على الإطلاق،الجامع لمعاني الأسماء الحسنى،والصفات العليا،ولذا يضاف إليه جميع الأسماء،فيقال مثلاً:الرحمن من أسماء الله،ولايضاف هو إلىشيء، وهو مشتق من (أَلَهَ) (يأله)إذا عُبِد، ومنه قول رؤبة :

لِلَّهِ دَرُّ الغانِياتِ الْمُدَّهِ سَبَّحْنَ وَاسْتَرْجَعْنَ مِنْ تَأَلُّهِي

---

(١) "العين"للخليل(٣١٨/٧)،"تهذيب اللغة"(١١٧/١٣)،"تفسير القرطبي"(١٠١/١).

(٢)"بدائع الفوائد"لابن القيم(١٦/١)،وانظر:"مجموع الفتاوى"لابن تيمية(١٩٢،٢٠٧/٦-٢٠٩).

والتَّأَلُّه هو : التعبُّد . فهو بمعنى مألوه أي:معبود،فهو دال على صفة له وهي: الإلهية.

وأصله:الإله:حذفت الهمزة وأدغمت اللام باللام،فقيل:الله.

ومعناه ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين.

وقال بعض العلماء: إنه اسم الله الأعظم و لم يتسم به غيره ،ولذلك لم يثن و لم يجمع ،وهو أحد تأويلي قوله تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيّاً ﴾ [مريم: من الآية٦٥]أي:من تسمى باسمه الذي هو الله (١).

وعن عبد الله بن عباس-رضي الله عنهما- قال:" الله ذو الألوهية والمعبودية على خلقه أجمعين "(٢).

قوله : (الرحمن) نعت لله تعالى ولا يثنى ولا يجمع لأنه لا يكون إلا لله -جل وعزّ- وأدغمت اللام في الراء لقربها منها وكثرة لام التعريف.

و **(الرحيم)** نعت أيضا .

وقال ابن هشام-رحمه الله- : ((الرحمن : بدل لا نعت ، وأن الرحيم بعده : نعت له،لا نعت لاسم الله سبحانه وتعالى،إذ لا يتقدم البدل على النعت))(٣).

وتعقب ابن القيم -رحمه الله- القائلين بهذا فقال:

---

(١)" تفسير القرطبي "(١٠٢/١)،"بدائع الفوائد"لابن القيم (٢٢/١)و(٢٤٩/٢)،"تيسير العزيز الحميد"(ص٢٨-٢٩)،"فتح المجيد"(٧١/١-٧٣).

(٢)أخرجه الطبري في"تفسيره"(٥٤/١).

(٣) "مغني اللبيب"(٨٩/٢).

((قلت : أسماء الرب تعالى هي أسماء ونعوت فإنها دالة على صفات كماله فلا تنافي فيها بين العلمية والوصفية ،فالرحمن اسمه تعالى ووصفه لا تنافي اسميته

وصفيته فمن حيث هو صفة جرى تابعا على اسم الله ومن حيث هو اسم ورد في القرآن غير تابع بل ورود الإسم العلم.

ولما كان هذا الإسم مختصا به تعالى حسن مجيئه مفردا غير تابع كمجيء اسم الله كذلك وهذا لا ينافي دلالته على صفة الرحمن كاسم الله تعالى فإنه دال على صفة الألوهية ولم يجيء قط تابعا لغيره بل متبوعا وهذا بخلاف العليم والقدير والسميع والبصير ونحوها ولهذا لا تجيء هذه مفردة بل تابعة فتأمل هذه النكتة البديعة يظهر لك بها أن الرحمن اسم وصفة لا ينافي أحدهما الآخر وجاء استعمال القرآن بالأمرين جميعا))(١).

الرحمن:ذو الرحمة الواسعة، لأن (فعلان) في اللغة العربية تدل على السعة والامتلاء، كما يقال: رجل غضبان: إذا امتلأ غضباً.

الرحيم: اسم يدل على الفعل، لأنه فعيل بمعنى فاعل فهو دال على الفعل.

فيجتمع من "الرحمن الرحيم": أن رحمة الله واسعة وأنها واصلة إلى الخلق. وهذا هو ما أومأ إليه بعضهم بقوله: الرحمن رحمة عامة ،والرحيم رحمة خاصة بالمؤمنين. وهما اسمان لله يتضمنان صفة الرحمة ، واخْتُلِفَ في التفريق بينهما ، وأحسن ما قيل : إن الرحمن دالٌّ على الصفة القائمة بالذات ، والرحيم دال على تعلُّقها بالمرحوم .

(١)"بدائع الفوائد"(١/٢٤).

....

فالرحمن اسم من الأسماء المختصة بالله -عزّ وجلّ- ولايطلق إلاّ على الله تعالىلامطلقاً ولامضافاً،والرحمن معناه: المتصف بالرحمة الواسعة.

والرحيم يطلق على الله -عزّ وجلّ- وعلى غيره ، ومعناه ذو الرحمة الواصلة ، فالرحمن ذو الرحمة الواسعة، والرحيم ذو الرحمة الواصلة فإذا جمعا صار المراد بالرحيم الموصل رحمته إلى من يشاء من عباده كما قال الله تعالى:

﴿ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴾ [العنكبوت:٢١](١).

تنبيـــــه:

دَرَجَ كثيرٌ من أهل العلم عند شرحهم للبسملة وسبب البداءة بها إيراد:حديث أبي هريرة -رضي الله عنه-مرفوعاً:

((كُلُّ أَمْرٍ ذِي بَالٍ لا يُبْدَأُ فِيهِ ببسمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، فَهُو أَقْطَعُ)) .

أخرجه الخطيب البغدادي في"الجامع لآداب الراوي والسامع"(١٢٨/٢)، وابن السمعاني في"أدب الإملاء"(٢٨٣/١) ،وعبد القادر الرُّهَاوِي في "الأربعين" ،والسبكي في"طبقات الشافعية"(٦/١) .

بيد أنه حديث ضعيف واهٍ ، وبذلك جزم غير واحد من أئمة الحديث، ومنهم : الحافظ ابن حجر ، والسخاوي ، وآخرون (٢).

---

(١)انظر:"اعراب القرآن"للنحاس(١٦٧/١-١٦٨)،"بصائر ذوي التمييز"للفيروز آبادي(٥٣/٣)،"التبيان في اعراب القرآن"للعكبري(٣/١-٤)،"فتح المجيد"(٧٧/١)،"الشرح الممتع"(٣/١).

(٢)انظر:"فتح الباري"لابن حجر(٢٢٠/٨)،"فيض القدير"للمناوي(١٣/٥)،"الفتوحات

أَسْأَلُ اللهَ الكَرِيمَ ، رَبَّ العَرْشِ العَظِيمِ : أَنْ يَتَوَلاَّك فِي الدُّنيَا والآخِرَةِ . وأَنْ يَجْعَلَكَ مُبارَكاً أَيْنمَا كُنْتَ . وأَنْ يَجْعَلَكَ مِمَّن إذا أُعْطِيَ شَكَرَ ، وإذا ابتُليَ صَبَرَ ، وإذا أَذْنَبَ اسْتَغْفَرَ ، فَإِنَّ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَ عُنْوَانُ السَّعَادَةِ .

ابتدأ المؤلف -رحمه الله- بين يدي رسالته بهذه الفاتحة ، وقد تضمنت أمرين :**أولهما** : دعاء ؛ حيث دعا -رحمه الله - كعادته في كثير من رسائله؛ يبتدؤها بدعاء لمن يقرأ هذه الرسالة أو إلى من وُجِّهت إليه ، ولَمَنْ يُعَلِّمه ((القواعد الأربع)) بدعوات ثلاث :

- الأولى : هي : (**أسأل الله الكريم ، رب العرش العظيم : أن يتولاك في الدنيا والآخرة**) .

والمعنى : سؤال الله أن يكون نصيراً وظهيراً لك في الدنيا والآخرة . والله هو وليٌّ المؤمنين الموحّدين ، قال تعالى : ﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾ [البقرة: من الآية٢٥٧].

قال ابن جرير -رحمه الله -:((نصيرهم وظهيرهم ، يتولاهم بعونه وتوفيقه)) (١).

وقال البغوي -رحمه الله- : ((قوله تعالى: ﴿ الله ولي الذين آمنوا ﴾ ناصرهم ومعينهم . وقيل : مُحِبُّهم . وقيل : متولِّي أمورهم لا يَكِلُهُم إلى غيره . وقال الحسن : وليٌّ هدايتهم)) (٢).

الربانية"لابن علان(٣/٢٩٠)،"إرواء الغليل"للألباني(١/٢٩).

(١)"تفسير الطبري"(٣/٢١).

(٢)"تفسير البغوي"(١/٢٤١).

وعَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- مرفوعاً : ((...اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا ،وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا ...)) (١).

- **والثانية هي : (وأن يَجْعَلَك مباركاً أينما كنتَ)** أي : يَجْعلك كثير النَّفْع للآخرين ، و (المبارك) مفعول بارك ، من البركة ،وهو وصف لوجود البركة في الشيء.

قال ابن القيم -رحمه الله-: ((حقيقة اللفظة : أن (البركة) كثرة الخير ودوامه)) (٢).

- **والثالثة هي : (وأن يَجْعَلَك مِمَّن إذا أُعْطي شكر ، وإذا ابْتُلِي صبر ، وإذا أَذْنَب استغفر)** لأن النعم تقابل بالحمد والشكر ، والبلايا والمصائب الواجب فيها الصبر، والذنب والسيئة الفرض فيها التوبة والاستغفار.

والأمر الثاني : قوله: (فإن هؤلاء)وفي نسخة:هذه **(الثلاث عُنْوان السعادة)**فيه أنَّ عنوان السعادة لكل مسلم يعود إلى أمور ثلاثة:

الأول : الشكر على العَطِيَّة .

و الثاني : الصبر على الابتلاء .

و الثالث : الاستغفار عند الوقوع في الذنب .

فإن العبد لا يَنْفكّ عن هذه الثلاث ، فسعادته بتقييدها بقيودها السابقة .

قال ابن القيم -رحمه الله -: ((ولا يَنْفكّ عبد عنها أبداً – يعني : النعمة والبَلِيَّة

(١)أخرجه مسلم(٢٧٢٢).

(٢) "بدائع الفوائد"(٢/٤١١).

والذنب - ، فإن العبد دائم التقلُّب بين هذه الأطباق الثلاث)) (١).

وشكر النعمة مبني على أركان ثلاثة.

قال ابن القيم -رحمه الله - : ((نِعَمٌ من الله تعالى تترادف عليه : فَقَيْدُها (الشكر) ، وهو مبني على ثلاثة أركان : الاعتراف بها باطناً ، والتحدُّث بها ظاهراً ، وتصريفها في مرضاة وَليِّها ومسديها ومعطيها . فإذا فعل ذلك فقد شكرها مع تقصيره في شكرها)) (٢) .

والصبر عند المصيبة له أركان ثلاثة -أيضاً- .

قال ابن القيم - رحمه الله -: ((مِحَنٌ من الله تعالى يبتليه بها : ففرضه فيها الصبر والتَّسلِّي . والصبر: **حبس النفس** عن التَّسخُّط بالمقدور ، **وحبس اللسان** عن الشكوى ، **وحبس الجوارح** عن المعصية ، كاللَّطم وشَقّ الثياب ونتف الشعر ونحوه . فمدار الصبر على هذه الأركان الثلاثة ، فإذا قام به العبد كما ينبغي انقلبتْ المِحْنَة في حقِّه مِنْحة، واستحالتْ البليَّة عطية ، وصار المكروه محبوباً)) (٣).

والاستغفار والتوبة له حقيقة وشرائط :((فحقيقة التوبة : هي الندم على ما سلف منه في الماضي ، والإقلاع عنه في الحال ، والعزم على أن لا يعاوده في المستقبل . والثلاثة تجتمع في الوقت الذي تقع فيه التوبة ، فإنه في ذلك الوقت : يندم ويقلع ويعزم . فحينئذ يرجع إلى

(١) "الوابل الصيب"(ص٦).
(٢) المصدر السابق.
(٣) السابق.

العبودية التي خلق لها ، وهذا الرجوع هو حقيقة التوبة . ولما كان مُتوقِّفاً على تلك الثلاثة جُعلت شرائط له))[1] .

وعلى كلٍّ فهذه الثلاث ، مِن شكر وصبر واستغفار : فيها توجُّه لله ، وسَكَنٌ إليه ، وعبودية ؛ لذا سَعِدَ ووفق مَن تَعَلَّق بها واستمسك.

(١)"مدارج السالكين"(١/١٨٢).

اِعْلَم أَرْشَدَكَ اللهُ لِطَاعَتِهِ : أَنَّ الْحَنِيفِيَةَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ : أَنْ تَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّيْن ، كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْأِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُون ﴾ [الذريات:٥٦].

قوله : (**اعلم**) فعل أمر من : العلم . والعلم يُعرَّف بأنه : إدراك الشيء على ما هو عليه ادراكاً جازماً. وفيه تعاريف أُخَر .

والعلم ينقسم إلى قسمين: ضروري ونظري.

فالضروري ما يكون إدراك المعلوم فيه ضرورياً بحيث يضطر إليه من غير نظر ولا استدلال كالعلم بأن النار حارة مثلاً.

والنظري ما يحتاج إلى نظر واستدلال كالعلم بوجوب النية في الوضوء.

والعلم إذا أطلق في نصوص الشرع فالمراد به العلم الشرعي.

قال ابن حجر-رحمه الله-: ((والمراد بالعلم: العلم الشرعي،الذي يفيد معرفة مايجب على المكلف من أمر دينه في عباداته ومعاملاته،والعلم بالله وصفاته وما يجب له من القيام بأمره وتتريهه عن النقائص؛ومدار ذلك على التفسير والحديث والفقه))(١).

والمقصود تَنْبيه الُمتَعَلِّم إلى ما بَعْدَ (اعلم) من علوم مُهمَّة ، وهو : (التوحيد) .

قال ابن تيمية -رحمه الله -: ((فَبالتَّوْحِيدِ يَقْوَى الْعَبْدُ وَيَسْتَغْنِي وَمَنْ سَرَّهُ أَنْ يَكُونَ أَقْوَى النَّاسِ فَلْيَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وبالاستغفار يَغْفِرُ لَهُ وَيَدْفَعُ عَنْهُ عَذَابَهُ ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ فَلَا يَزُولُ فَقْرُ الْعَبْدِ وَفَاقَتُهُ إلَّا بِالتَّوْحِيدِ ؛ فَإِنَّهُ لَا بُدَّ لَهُ مِنْهُ وَإِذَا لَمْ يَحْصُلْ لَهُ لَمْ يَزَلْ فَقِيرًا مُحْتَاجًا مُعَذَّبًا فِي طَلَبِ مَا لَمْ يَحْصُلْ لَهُ . وَاَللَّهُ تَعَالَى : ﴿ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ ﴾ . إذَا حَصَلَ

---

(١)"فتح الباري"(١/٨).

مَعَ التَّوْحِيدِ الِاسْتِغْفَارُ حَصَلَ لَهُ غِنَاهُ وَسَعَادَتُهُ وَزَالَ عَنْهُ مَا يُعَذِّبُهُ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إلَّا بِاَللَّهِ))(١).

قوله : (**أرشدك الله لطاعته**)دعاء للمُتَعَلِّم بأن يَهْديه الله إلى طاعته سبحانه ويوفقه لسلوك سبيلها.

والرشد : الاستقامة على طريق الحق ،وهو ضد الغي.

و (الطاعة): موافقة أمر الشرع بفعل المأمور وترك المحظور.

وفي دعاء المؤلف -رحمه الله - للمُتَعلِّم دلالة على شَفَقَتِه عليه ، ونُصْحِهِ له . وهو أدب رفيع في التعليم أكثر المؤلف -رحمه الله- منه في كتبه ورسائله،وهذا من حسن عنايته ونصحه للأمة.

قوله : (**أن الحنيفية ملة إبراهيم**) الحنيفية مُشْتَقَّة من : الحَنَف ، وهو في اللغة بمعنى : المَيَل ،والحنيف:هو المائل.

قال ابن فارس -رحمه الله - : ((الحاء والنون والفاء أصلٌ مستقيم، وهو المَيَل. ... والحنيف: المائل إلى الدين المستقيم. قال الله تعالى: ﴿وَلكِنْ كانَ حَنِيفاً مُسْلِماً﴾ [آل عمران ٦٧]، والأصل هذا، ثم يُتَّسع في تفسيره فيقال: الحنيف النّاسك، ويقال: هو المختون، ويقال: هو المستقيم الطريقة. ويقال هو يتحنَّف، أي يتحرَّى أقومَ الطرِيق)) (٢) .

وهو هنا : مَيْل عن الضلال إلى الاستقامة ، والحنيف هو المائل إلى ذلك ، ومنه قوله تعالى : { قانتاً لله حنيفاً} ، وقوله : {حنيفاً مسلماً}.

---

(١) "مجموع الفتاوى"(١/٥٥-٥٦).

(٢)"معجم مقاييس اللغة"(٢/٨٧).

و(الحنيفية) يُقْصد بها : مِلَّة إبراهيم عليه السلام ،وهي الملة المائلة عن الشرك ، المبينة على الإخلاص لله -عزّ وجلّ- .

و(الملة) هي : الدِّيْن ، وهي اسم لكل ماشرعه الله تعالى لعباده على ألسنة أنبيائه عليهم الصلاة والسلام . وبين (الملة) و(الدين) فروق منها:

((أن (الملة) لا تُضَاف إلا إلى النبي عليه الصلاة والسلام الذي تُسْنَد إليه ، نحو : ﴿ فاتبعوا مِلَّة إبراهيم ﴾،﴿واتبعت ملة آبائي ﴾ولا تكاد توجد مضافة إلى الله ، ولا إلى آحاد أُمَّة النبي ° ، ولا تُسْتَعْمَل إلا في حملة الشرائع دون آحادها ، لا يقال : مِلَّة الله ، ولا يقال : مِلَّتِي ومِلَّة زيد ، كما يقال : دين الله ودين زيد ، ولا يقال : الصلاة مِلَّة الله))(١).

وملة إبراهيم -عليه السلام- خير الملل ، يقول تعالى : ﴿ ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سَفِه نفسه ولقد اصطفيناه في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين ﴾.

قوله : (**أن تعبد الله وحده مخلصاً له الدين**) خبر "أن" في قول "أن الحنيفية" .

و(العِبَادَةُ) في اللغة: الذُّلُ والخُضُوعُ ؛يقال : طريق مُعَبَّد : إذا كان مُذَلَّلا بوَطْئ الأقدام ،ويقال:عَبَدَ اللهَ عِبَادَةً،وعُبُودِيَّةً:انقاد له،وخَضَعَ،وذَلَّ(٢).

والعبادة بمفهومها العام هي: (التذلل لله محبة وتعظيماً بفعل أوامره واجتناب نواهيه على الوجه الذي جاءت به شرائعه).

(١)"المفردات في غريب القرآن"للأصفهاني(ص٤٧١-٤٧٢)،وانظر:"التعريفات"(ص١٤١).

(٢)انظر:"أساس البلاغة"للزمخشري(ص٤٠٦)،"المعجم الوسيط"(ص٥٧٩).

أما المفهوم الخاص للعبادة ؛ هو : ((اسم جامع لكل ما يُحِبُّه الله ويرضاه من الأقوال الباطنة والظاهرة)) [1] .

وأما أهل البدع فإنهم يعرفون العبادة بــ: (الذل والخضوع لأوامر اللَّه القدرية الكونية). وهذا لا يكفي ويلزم منه أن الكافر عابد لله تعالى ؛ لأن كل إنسان خاضع لأوامر اللَّه القدرية .

وبهذا الاعتبار حتى الشيطان يكون خاضعاً لأوامر اللَّه القدرية ، وهذا تعريف باطل ، والصحيح أن العبادة هي : (الذل والخضوع لأوامر اللَّه الشرعية) ، هذا تعريف العبادة المطلوبة من الناس ، مع أننا لا ننكر أن الخضوع لأوامر اللَّه القدرية ، هو عبودية لله ولكنها عبودية إلزامية ، يخضع لها كل شيء .

ومن أمثلة العبادة : الصلاة ، والزكاة،والحج،والخوف ،والتوكل،والاستعانة،الاستغاثة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ...وغير ذلك من شرائع الإسلام.

والعبادة أقسام : عبادة قوليه ، وعبادة اعتقادية ، وعبادة فعلية ...

فالإعتقادية: أن تعتقد ما أمرك الإسلام أن تعتقده بأن الله هو الخالق ، وأنه المدبر ، وأنه الرازق ، وأنه على العرش استوى ، وأنه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير .. .

والفعلية: كأن تحج ، وأن تصلي ، وأن تتصدق ، وأن تمشي في طاعة الله ، وأن تخرج في سبيل عز وجل الله مجاهدا ، أو داعيةً ونحو هذا.

(١)"العبودية"(ص٣٨).وانظر"المجموع الثمين من فتاوى ابن عثيمين"(٢/٢٥).

....

و القولية :كقراءة القرآن ، وكذكر الله ، وأذكار الصباح والمساء **..**ونحو ذلك **.**
وهذه كلها من العبادات **.**

وقوله-رحمه الله- **: (وحده مخلصاً لَهُ الدِّيْن)** وفي نسخة زيادة**:(**وبذلك أمر الله جميع النَّاس وخلقهم لها**)**لأن العبادة من حيث كونها عبادة نوعان **:**

الأول **:** عبادة خالصة لله تعالى ، وهي العبادة المأمور بها في الشرع **.**

قال ابن عباس **-**رضي الله عنهما **-: ((** كل ما ورد في القرآن من العبادة **:** فمعناه التوحيد**)) (١) .**

وقال ابن تيمية **-**رحمه الله **-: ((** والله سبحانه وتعالى أمر ألا يُعْبد إلا إيَّاه ، وأن لا يكون الدين إلا له **)) (٢).**

والثاني **:** عبادة شركية ؛ لأنها غير خالصة لله ، وسُمِّيت **(**عبادة**)** لأنها جمعت بين كمال الحب وكمال الذل ، وإن كان لغير الله **.**

قال ابن كثير **-**رحمه الله **-: ((** العبادة في الشرع **:** عبارة عَمَّا يَجْمع كمال المحبة والخضوع والخوف **)) (٣).**

ولهذا قيَّد المؤلف **-**رحمه الله**- (** العبادة **)** بأن تكون خالصة لله تعالى وحده لاشريك له**.**

والإخلاص:هو أن يقصد العبد بعمله رضا ربه وثوابه،لا غرضاً من رئاسة أو جاه أو شيء من حطام الدنيا ومتاعها**.**

---

(١)ذكره البغوي في"تفسيره"(١/٥٥).

(٢)"مجموع الفتاوى"(١٤/٣٢٩).

(٣) "تفسير ابن كثير"(١/٢٦).

وهو: ((تصفية العمل من كل شائبة، بحيث لا يمازج هذا العمل شيء من الشوائب في الإرادات، وأعنى بذلك إرادات النفس، إما بطلب التزين في قلوب الخلق، وإما بطلب مدحهم، والهرب من ذمهم، أو بطلب تعظيمهم، أو بطلب أموالهم، أو خدمتهم، أو محبتهم، أو أن يقضوا له حوائجه، أو غير ذلك من العلل والشوائب والإرادات السيئة التي تجتمع على شيء واحد، وهو: إرادة ما سوى الله عز وجل بهذا العمل، وعليه: فالإخلاص هو توحيد الإرادة والقصد، أن تفرد الله عز وجل بقصدك وإرادتك فلا تلتفت إلى شيء مع الله تبارك وتعالى))[1].

قال ابن القيم -رحمه الله-:((العمل بغير إخلاص ولا إقتداء كالمسافر يملأ جرابه رملاً ينقله ولا ينفعه،فهو ليس له من هذا الجراب وهذا الحمل إلا التعب، فمن حمل التراب على ظهره، فإن ذلك لا ينفعه؛ لأنه لا نفع فيه))(٢).

قوله : **(كما قال تعالى : ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ والإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴾)**

أي:ما أوجد الله تعالى الثقلين إلاّ لحكمة عظيمة جليلة وهي:عبادة الله وحده لاشريك له ،وترك عبادة ماسواه ،وأفادت:أن الخلق لم يخلقوا عبثاً،ولم يتركوا سدى.

فقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ والإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ خبر مستعمل في التعريض بالمشركين الذين انحرفوا عن الفطرة التي خُلقوا عليها فخالفوا سنتها اتباعاً لتضليل المضلين.

(١) "مدارج السالكين"(٩٢/٢).

(٢)"الفوائد"(ص٤٩).

والاستثناء مفرغ من علل محذوفة عامة على طريقة الاستثناء المفرغ.

واللام في {لِيَعْبُدُونِ} لام العلة، أي ما خلقتهم لعلة إلا علة عبادتهم إياي. والتقدير: لإرادتي أن يعبدون، ويدل على هذا التقدير قوله في جملة البيان: ﴿ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ﴾[الذريات:٥٧] (١).

قال ابن كثير -رحمه الله - : ((معنى الآية : أنه تبارك وتعالى خلق العباد ليعبدوه وحده لا شريك له ، فمن أطاعه جازاه أتَمَّ الجزاء ، ومن عصاه عَذَّبه أشد العذاب)) (٢) .

وقال ابن تيمية -رحمه الله -: ((إن الله خلق الخلق لعبادته الجامعة لمعرفته والإنابة إليه ، ومحبته والإخلاص له ، فبذكره تطمئن قلوبهم ، وبرؤيته في الآخرة تَقَرّ عيونهم ، ولا شيء يعطيهم في الدنيا أعظم من الإيمان به ، وحاجتهم إليه في عبادتهم إياه وتألههم كحاجتهم وأعظم في خلقه لهم وربوبيته إياهم ، فإن ذلك هو الغاية المقصودة لهم ، وبذلك يصيرون عاملين متحركين ، ولا صلاح لهم ولا فلاح ولا نعيم ولا لذة : بدون ذلك بحال ، بل من أعرض عن ذكر ربه : ﴿ فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴾[طـه: ١٢٤])) (٣) .

---

(١)انظر"التحرير والتنوير"للطاهر ابن عاشور(/).

(٢)"تفسير ابن كثير"(٤/٢٣٩).

(٣) " مجموع الفتاوى "(١/٢٣) .

فَإِذَا عَرَفْتَ أَنَّ اللهَ خَلَقَكَ لِعِبَادَتِهِ : فَاعْلَمْ أَنَّ العِبَادَةَ لا تُسَمَّى عِبَادَةً إلاَّ مَعَ التَّوحِيدِ ، كَمَا أَنَّ الصَّلاَةَ لا تُسَمَّى صَلَاةً إلاَّ مَعَ الطَّهَارَةِ ، فإذا دَخَلَ الشِّرْكُ في العِبَادَةِ فَسَدَتْ ، كالحَدَثِ إذَا دَخَلَ في الطَّهَارَةِ .

قوله : (فإذا عَرَفْتَ أن الله خَلَقَكَ لعبادته) : جملة شَرْطيَّة جوابها قوله : (فاعلم ..) .

قوله : (العبادة لا تُسَمَّى عبادة إلا مع التوحيد) : التوحيد تَفْعِيل من : وَحَّده توحيداً ، إذا حكم بوحدانيَّة الشيء ، أي : أنَّ ذلك الشيء : واحدٌ فَرْد .

قال ابن فارس-رحمه الله-: ((الواو والحاء والدال: أصلٌ واحد يدلُّ على الانفراد. من ذلك الوَحْدَة. وهو وَاحدُ قبيلته، إذا لم يكنْ فيهم مثلُه، قال:

يا واحدَ العُرْبِ الذي *** ما في الأنامِ لــه نَظِير

ولقيتُ القَومَ مَوحَدَ مَوْحَدَ. ولقيتُه وَحْدَه. ولا يُضاف إلاَّ في قولهم: نَسيجُ وَحْدِه، ...، أي: لا يُنسَج غيره لنفاسته، وهو مَثَل. والواحد: المنفرد. وقول عبيد:

واللهِ لو مِتُّ ما ضَرَّني *** وما أنا إن عشت في واحِدَه

يريد: ما أنا إن عِشت في خَلّة واحدة تدوم، لأنه لا بدَّ لكلِّ شيءٍ من انقضاء)) (١).

---

(٢)"معجم مقاييس اللغة"(٦/٧٢).

قال الأصفهاني -رحمه الله-: ((التوحيد على وزن التفعيل ، وهو مصدر وحَّدتُه توحيداً ، كما تقول : كَلَّمته تكليماً ...ومعنى وحَّدته :جعلته منفرداً عما يشاركه أو يشبهه في ذاته وصفاته، والتشديد فيه للمبالغة ، أي : بالغت في وصفه بذلك ... وتقول العرب : واحد وأحد ووحد ووحيد : أي : مُنْفَرِد ، فالله تعالى واحد ، أي : منفرد عن الأنداد والأشكال في جميع الأحوال)) (١) .

والمؤلف-رحمه الله- يعني بـــ(التوحيد) هنا : توحيد العبادة ،وهو توحيد الألوهية ، بدليل أنه فسر التوحيد بالعبادة .

فأراد المؤلف-رحمه الله-نوعاً من أنواع التوحيد و لم يُرد كل التوحيد ، بل أراد توحيد العبادة، و توحيد الألوهية وأحيانا يسمى توحيد الإرادة والطلب والقصد.

وهو أعظم فريضة فرضها الله على العباد علماً وعملاً، ولأجله أرسلت الرسل وأنزلت الكتب،وبه تكفر الذنوب،وتستوجب الجنة وينجى من النار.

قال ابن تيمية -رحمه الله-: ((وذلك أن توحيد الرسل والمؤمنين هو : عبادة الله وحده ، فمن عَبَدَ الله وحده لم يُشْرِك به شيئاً : فقد وحَّدَه ، ومن عَبَدَ من دونه شيئاً من الأشياء فهو مشرك به ، ليس بمُوَحِّد مخلص له الدين)) (٢).

---

(١) " الحُجَّة في بيان المَحَجَّة " (١/٣٠٥).

(٢) " نقض التأسيس " (١/٤٧٨).

وقال -رحمه الله - : ((أما التوحيد الذي ذكره الله في كتابه ، وأنزل به كتبه ، وبعث به رسله ، واتفق عليه المسلمون من كل مِلَّة : فهو كما قال الأئمة : شهادة أن لا إله إلا الله ، وهو عبادة الله وحده لا شريك له))(١) .

وقال ابن القيم-رحمه الله-: ((توحيد الرسل إثبات صفات الكمال لله على وجه التفصيل ،وعبادته وحده لا شريك له ،فلا يجعل له نداً في قصد ولا حب ولا خوف ولا رجاء ولا لفظ ولا حلف ولا نذر؛ بل يرفع العبد الأنداد له من قلبه وقصده ولسانه وعبادته ،كما أنها معدومة في نفس الأمر لا وجود لها البتة، فلا يجعل لها وجودا في قلبه ولسانه))(٢).

قوله : (كما أن الصلاة لا تسمى صلاة إلا مع الطهارة) أي :

أن الصلاة لا تَصِحّ إلا مع الطهارة من الحَدَث ، لقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ ﴾ [المائدة:٦].

قال ابن كثير -رحمه الله-: ((قال كثيرون من السلف : قوله : { إذا قمتم إلى الصلاة } معناه : وأنتم مُحْدِثون))(٣) .

---

(١) " التِّسْعِيْنِيَّة " (ص٢٠٨).

(٢)"الروح"(ص٢٦١).

(٣) "تفسير ابن كثير " (٤٣/٣).

....

ولقول النبي ° :((لا يَقْبل الله صلاةَ أحدِكم إذا أحْدَث حتى يَتَوَضَّأ))[1].

وقد انعقد إجماع المسلمين على هذا، والأمر فيه معلوم من الدين بالضرورة[2].

قال ابن تيمية -رحمه الله-: ((الطهارة واجب للصلاة بالكتاب والسنة والإجماع ، فرضها ونفلها)) [3].

وقال -رحمه الله-: ((من صَلّى بغير طهارة شرعية مُسْتَحِلاً لذلك فهو كافر ، ولو لم يَسْتَحِلّ ذلك فقد اخْتُلِف في كفره ، وهو مُسْتَحِق للعقوبة الغَلِيْظَة)) [4].

قوله : (فإذا دخل الشرك في العبادة) في نسخة:فيها(**فَسَدَتْ ، كالحَدَث إذا دخل في الطهارة) .**

(الشرك) في اللغة يَرْجع إلى معنيين، قال ابن فارس -رحمه الله-: ((الشين والراء والكاف أصلانِ، **أحدُهما:** يدلُّ على مقارنَة وخِلاَفِ انفراد، والآخر يدلُّ على امتدادٍ واستقامة.

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٥) ومسلم (٢٢٥).

(٢)انظر: " مجموع الفتاوى " (١٦٩/٢٣)،"الإجماع"لابن المنذر(ص٣١)،"الإفصاح"لابن هبيرة(٧٨/١)،"شر ح صحيح مسلم"للنووي(١٠٢/٣)،"تحفة الأحوذي"(٢١/١).

(٣) " مجموع الفتاوى " (٢٦٨/٢١)،و"شرح العمدة" (١٤٥/٤).

(٤) " مجموع الفتاوى "(٢٩٥/٢١).

فالأول الشِّرْكة، وهو أن يكون الشيءُ بين اثنين لا ينفردُ به أحدهما. ويقال شاركتُ فلاناً في الشيء، إذا صِرْتَ شريكه. وأشركْتُ فلاناً، إذا جعلتَه شريكاً لك. قال الله جلَّ ثناؤهُ في قِصَّةِ موسى: ﴿ **وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي** ﴾ [طه ٣٢]...

وأمّا الأصل **الآخر** فالشرَك: لَقَم الطّريق، وهو شِرَاكُه أيضاً. وشِرَاك النَّعْل مشبَّه بهذا. ومنه شَرَكُ الصّائِدِ، سمِّي بذلك لامتداده)) (١).

وقال الأزهري -رحمه الله-: ((الشرك بمعنى الشريك ، وهو بمعنى النصيب ، وجمعه: أشراك كشبر وأشبار)) (٢).

والمؤلف -رحمه الله- يَعْنِي بـــ(الشرك) هنا : الشرك في العبادة وصرفها لغير الله تعالى.

والشرك شرعاً: ((صَرفُ حقٍّ من حقوق الله تعالى لغيره)) (٣)،أو: ((مساواة غير الله بالله فيما هو حق لله وخاص به))(٤).

وحق الله: كل مالا يَقدر عليه إلاّ الله،فلا يُطلب إلاّ منه -عزّ وجلّ-فإذا طُلِبَ من غيره،كان صرفاً لخصائص الله لغيره.

وهو أعظم ذنب عُصِيَ اللهُ به،كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيم ﴾ [لقمان: من الآية١٣].

(١) "معجم مقاييس اللغة " (٢٠٣/٣)، وانظر:"لسان العرب" (٤٤٩/١٠ - ٤٥٠).

(٢) "تهذيب اللغة " (١٧/١٠).

(٣)انظر"أضواء البيان"(٥٦١/٤).

(٤)انظر:"تيسير العزيز الحميد "(ص٩١)،"حاشية ابن قاسم على كتاب التوحيد"(ص٥٠)،"الدرر السنية"(١٩٧/١، ١٣٣، ١٣٠)،"مصباح الظلام"(ص٩٨).

وعنْ عَبْدِ اللهِ بنِ مَسعودٍ-رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قال: قُلْتُ: يا رسُولَ الله أيُّ الذَّنْبِ أعْظَمُ ؟ قال : ((أنْ تَجْعَلَ لله نِدًّا وهْوَ خَلَقَكَ))(١).

و قوله(نِدًّا) : -بكسر النون- أي: مِثلاً ونَظِيرًا في دعائك أو عبادتك (٢).

قال المؤلف -رحمه الله-: ((وأعظم ما أمر الله به التوحيد ، وهو : إفراد الله بالعبادة . وأعظم ما نهى عنه الشرك ، وهو : دعوة غيره معه))(٣).

وقال ابن سعدي-رحمه الله-: ((وحقيقة الشرك بالله: أن يعبد المخلوق كما يعبد الله ،أو يعظم كما يعظم الله، أو يصرف له نوع من خصائص الربوبية والإلهية ،وإذا ترك العبد الشرك كله صار موحداً مخلصا لله في جميع أحواله)) (٤).

وقال ابن القيم -رحمه الله-: ((الشرك شركان : شرك يَتَعَلَّق بذات المعبود وأسمائه وأفعاله، وشرك في عبادته ومعاملته ، وإن كان صاحبه يعتقد أنه سبحانه لا شريك له في ذاته ، ولا صفاته ولا في أفعاله . والشرك الأول نوعان : أحدهما : التعطيل ، وهو أقبح أنواع الشرك ، كشرك فرعون إذ قال : F وما ربُّ العالمين E ...النوع الثاني : شرك من جعل معه إلهاً آخر و لم يُعَطِّل أسماءه

(١) أخرجه البخاري (٤٤٧٧)، ومسلم (٨٦).

(٢) "عون المعبود" (٦/٣٠١).

(٣) " الأصول الثلاثة "(ص ٢٣- مع حاشية ابن قاسم)،وانظر:"معارج القبول"(١/٣١٨).

(٤)"تفسير السعدي" (ص٢٧٩).

وربوبيته وصفاته ، كشرك النصارى الذين جعلوه ثالث ثلاثة ، فجعلوا المسيح إلـــها وأمه إلـــها)) (١).

وقال المقْرِيزي -رحمه الله-: ((وشرك الأمم كله نوعان :

شرك في الإلـــهية ، وشرك في الربوبية.

فالشرك في الإلهية والعبادة : هو الغالب على أهل الإشراك ، وهو شرك عُبَّاد الأصنام ،وعبّاد الملائكة،وعبّاد الجن،وعبّاد المشايخ والصالحين الأحياء والأموات،الذين قالوا:إنما نعبدهم ليقربونا إلى الله زلفى،ويشفعوا لنا عنده،وينالنا بسبب قربهم من الله،وكرامته لهم:قرب وكرامة،كما هو المعهود في الدنيا من حصول الكرامة،والزُّلفى لمن يخدم أعوان الملك وأقاربه وخاصته.

والكتب الإلهية كلها من أولها إلى آخرها : تُبطل هذا المذهب وتردُّه ، وتُقَبِّح أهله ، وتنص على أنهم أعداء الله تعالى ، وجميع الرسل – صلوات الله عليهم – متفقون على ذلك من أوَّلهم إلى آخرهم ، وما أهلك الله تعالى مَنْ أهلك من الأمم إلا بسبب هذا الشرك ومن أجله))(٢).

وقال ابن تيمية -رحمه الله-: ((الشرك إن كان شركاً يكفر به صاحبه وهو نوعان : شرك في الإلـــهية ، وشرك في الربوبية .

فأما الشرك في الإلـــهية فهو : أن يَجْعل لله ندّاً – أي : مِثْلا – في عبادته أو محبته، أو خوفه ، أو رجائه ، أو إنابته . فهذا هو الشرك الذي لا يغفره الله إلا بالتوبة منه، قال تعالى:﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا

(١)" الجواب الكافي"(ص/١٩٢).

(٢) "تجريد التوحيد " (ص٥٢-٥٣).

....

قَدْ سَلَفَ ﴾ [لأنفال: ٣٨]...وأما النوع الثاني : فالشرك في الربوبية ، فإن الرب سبحانه هو المالك المدبر ، المعطي المانع ، الضار النافع ، الخافض الرافع ، المعز المذل ، فمن شهد أن المعطي أو المانع ، أو الضار أو النافع ، أو المعز أو المذل : غير ، فقد أشرك بربوبيته)) (١).

(١) " مجموع الفتاوى " (١/٩١-٩٢).

فَإِذَا عَرَفْتَ أَنَّ الشِّرْكَ إِذَا خَالَطَ العِبَادَةَ أَفْسَدَهَا ، وَأَحْبَطَ العَمَلَ ، وصَارَ صَاحِبُهُ مِنْ الخَالِدِينَ فِي النَّارِ : عَرَفْتَ أَنَّ أَهَمَّ مَا عَلَيّكَ مَعْرِفَةُ ذَلِكَ ، لَعَلَّ اللهَ أَنْ يُخَلِصَكَ مِنْ هَذِهِ الشَّبَكَةِ وهِي : الشِّرْكُ باللهِ ، الذَّي قَالَ تَعَالَى فِيهِ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: الآية٤٨] .

قوله : (**عَرَفْتَ أن أهم ما عليك معرفة ذلك**) أي : التوحيد والشرك المناقض له .

ولاريب أنّ الشرك إذا دخل في العبادة أفسدها وأبطلها وأوقع صاحبه في النار،وقد تضافرت النصوص على هذا،قال تعالى: ﴿ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر: من الآية٦٥]، وقال-جلّ في علاه-:﴿ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: من الآية٨٨].وقال تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ﴾ [التوبة:١٧].وقال -عزّ وجلّ-:﴿ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [المائدة: من الآية٧٢].وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾ [البينة:٦].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ :قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ° :
((قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنْ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي، تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ))(١).

---

(١)أخرجه مسلم (٢٩٨٥).

وعَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ° فَقَالَ: أَرَأَيْتَ رَجُلًا غَزَا يَلْتَمِسُ الْأَجْرَ وَالذِّكْرَ مَالَه؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ °:((لَا شَيْءَ لَهُ)) فَأَعَادَهَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ يَقُولُ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ °: ((لَا شَيْءَ لَه)) ثُمَّ قَالَ: ((إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبَلُ مِنْ الْعَمَلِ إِلَّا مَا كَانَ لَهُ خَالِصًا وَابْتُغِيَ بِهِ وَجْهُهُ))(١).

وعَنْ أَبِي سَعْدِ بْنِ أَبِي فَضَالَةَ الْأَنْصَارِيِّ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ :سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى ° يَقُولُ :((إِذَا جَمَعَ اللَّهُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ نَادَى مُنَادٍ: مَنْ كَانَ أَشْرَكَ فِي عَمَلٍ عَمِلَهُ لِلَّهِ أَحَدًا فَلْيَطْلُبْ ثَوَابَهُ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ ،فَإِنَّ اللَّهَ أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنْ الشِّرْكِ))(٢).

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بنِ مَسْعودٍ-رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ °:((مَنْ مَاتَ يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ النَّار)) وَقُلْتُ أَنَا :مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ(٣).

وعَنْ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ° يَقُولُ: ((مَنْ لَقِيَ اللَّهَ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ وَمَنْ لَقِيَهُ يُشْرِكُ بِهِ دَخَلَ النَّارَ))(٤).

قال ابن القيم -رحمه الله-: ((إن الشرك لما كان أظلم الظلم ، وأقبح القبائح ، وأنكر المنكرات ، كان أبغض الأشياء إلى الله وأكرهها له ، وأشد مقتاً لديه ،

---

(١) أخرجه النسائي (٣٠٨٩) وحسنه الألباني في"صحيح الجامع"(١٨٥٦).

(٢)أخرجه الترمذي(٣١٥٤)،وابن ماجه(٤٢٠٣)،وأحمد(١٥٨٣٨)وحسنه الألباني في"صحيح الجامع"(٤٨٢).

(٣)أخرجه البخاري(١١٦٢)،ومسلم(٩٢).

(٤)أخرجه مسلم(٩٣).

ورتب عليه من عقوبات الدنيا والآخرة ما لم يرتبه على ذنب سواه ، وأخبر أنه لا يغفره ، وأن أهله نجس ، ومنعهم من قُرْبان حَرَمه ، وحَرّم ذبائحهم ومناكحهم ، وقطع الموالاة بينهم وبين المؤمنين ، وجعلهم أعداء له سبحانه وتعالى ، ولملائكته ورسله وللمؤمنين ، وأباح لأهل التوحيد أموالهم ونسائهم وأبنائهم ...وهذا لأن الشرك هضم لحق الربوبية ، وتَنَقُّص لعظمة الإلهية، وسوء ظن برب العالمين))(١).

فهذا كله((يوجب للعبد شدة الخوف من الشرك الذي هذا شأنه عند الله ، لأنه أقبح القبيح وأظلم الظلم ، وتنقص لرب العالمين ، وصرف خالص حقه لغيره وعدل غيره به ، كما قال تعالى : ﴿ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ [الأنعام: الآية١] ولأنه مناقض للمقصود بالخلق والأمر مناف له من كل وجه ، وذلك غاية المعاندة لرب العالمين ، والاستكبار عن طاعته ، والذل له ، والانقياد لأوامره الذي لا صلاح للعالم إلا بذلك ، فمتى خلا منه خرب وقامت القيامة ، كما "قال صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى لا يقال فى الأرض الله الله "رواه مسلم . ولأن الشرك تشبيه للمخلوق بالخالق تعالى ومشاركة فى خصائص الإلهية : من ملك الضر والنفع ، والعطاء والمنع ، الذى يوجب تعلق الدعاء والخوف والرجاء ، والتوكل وأنواع العبادة كلها بالله وحده ، فمن علق ذلك بمخلوق فقد شبهه بالخالق وجعل من لا يملك لنفسه ضراً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً ، شبيهاً بمن له الحمد كله ، وله الخلق كله ، وله الملك كله ، وإليه يرجع الأمر كله ، وبيده الخير كله ، فأزمَّةُ الأمورِ كلِّها بيده سبحانه

(١)" إغاثة اللهفان " (٦٠/١) .

ومرجعها إليه ، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن . لا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع ، الذي إذا فتح للناس رحمة فلا ممسك لها ، وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم . فأقبح التشبيه تشبيه العاجز الفقير بالذات : بالقادر الغني بالذات . ومن خصائص الإلهية : الكمال المطلق من جميع الوجوه ، الذى لا نقص فيه بوجه من الوجوه . وذلك يوجب أن تكون العبادة كلها له وحده ، والتعظيم والإجلال ، والخشية والدعاء ، والرجاء والإنابة والتوكل والتوبة والاستعانة ، وغاية الحب مع غاية الذل : كل ذلك يجب عقلاً وشرعاً وفطرة أن يكون لله وحده ، ويمتنع عقلاً وشرعاً وفطرة أن يكون لغيره . فمن فعل شيئاً من ذلك لغيره فقد شبه ذلك الغير بمن لا شبيه له ولا مثيل له ، ولا ند له ، وذلك أقبح التشبيه وأبطله. فلهذه الأمور وغيرها أخبر سبحانه وتعالى أنه لا يغفره، مع أنه كتب على نفسه الرحمة))(١).

قوله : (**لعل اللهَ أن يخلصكَ من هذه الشَّبَكَةِ ، وهي : الشرك بالله**)

(يُخَلِّصك) من التخليص ، وخَلَّصَهُ من كذا تَخْلِيصاً أي: نَجَّاهُ ،والمعنى:لعل اللهَ يُنْجِيك .

و(الشَّبَكَةُ) -بتشديد الشين وفتح الباء والكاف- : شَرَكَةُ الصائد التي يصيد بها في البر والماء، والجمع شَبَكٌ و شِبَاك . ، والمعنى : أن للشِّرك شَرَكاً —حبائل الصيد — قد يقع فيه الإنسان ، وهو تعبير لطيف يناسب التخويف من الشرك والحذر منه والحث على العناية بالتوحيد والاهتمام به.

(١)"فتح المجيد"(١/١٧٣-١٧٥)،و"الصواعق المرسلة"(٢/٤٦٠).

فإن أصل (شبكة الشرك) والتي أوقعت صاحبها في الضلال،قائمة على أمرين:سوء الظن بالله،وعدم تقدير الله تعالى حقَّ قدره .

قال المقريزي -رحمه الله-:((اعلم أنك إذا تأمَّلتَ جميع طوائف الضلال والبدع : وجدتَ أصل ضلالهم راجعاً إلى شيئين : أحدهما : ظنهم بالله ظن السوء . والثاني : أنهم لم يَقْدُروا الرَّبَ حق قدره))(١) .

قوله : (**قال الله تعالى فيه : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾** [النساء: الآية٤٨]).

قال ابن كثير -رحمه الله- ((أخبر تعالى أنه (لا يغفر أن يشرك به) أي : لا يغفر لعبد لَقِيَه وهو مُشْرِك به . (و يغفر ما دون ذلك) أي : من الذنوب ، (لمن يشاء) أي : من عباده))(٢).

وقال الشنقيطي-رحمه الله- :((ذكر في هذه الآية الكريمة أنه تعالى لا يغفر الإشراك به وأنه يغفر غير ذلك لمن يشاء، وأن من أشرك به فقد افترى إثما عظيما .وذكر في مواضع أخر أن محل كونه لا يغفر الإشراك به إذا لم يتب المشرك من ذلك، فإن تاب غفر له ،كقوله: ﴿ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً﴾ الآية فإن الإستثناء راجع لقوله: ﴿ وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ ﴾ وما عطف عليه ،لأن معنى الكل جمع في قوله : ﴿ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَاماً﴾ الآية .وقوله: ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ﴾. وذكر في موضع آخر: أن من أشرك بالله قد ضل ضلالا بعيدا عن الحق، وهو

(١) " تجريد التوحيد "(ص٧٩).
(٢) " تفسير ابن كثير " (٢/٣٢٥).

قوله .. ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيداً﴾ .

وصرح بأن من أشرك بالله فالجنة عليه حرام ومأواه النار بقوله: ﴿ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ﴾وقوله : ﴿ وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ﴾.

وذكر في موضع آخر: أن المشرك لا يرجى له خلاص، وهو قوله: ﴿ حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾ وصرح في موضع آخر: بأن الإشراك ظلم عظيم بقوله عن لقمان مقررا له : ﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾.

وذكر في موضع آخر: أن الأمن التام والاهتداء ،إنما هما لمن لم يلبس إيمانه بشرك وهو قوله: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ وقد صح عنه -صلى الله عليه وسلم- أن معنى (بظلم): بشرك))(١).

(١)"أضواء البيان"(١/٣٩٣-٣٩٤).

وذَلِكَ بِمَعْرِفَةِ أَرْبَعِ قَوَاعِدَ ذَكَرَهَا اللهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ.

قوله : (**وذلك**) الإشارة فيه إلى : التَّخَلُّص من شبكة الشرك .

قوله : (**بمعرفة**) أي أنّ: الخلاص من شبكة الشرك مَجْموع أربع قواعد .

قوله : (**قواعد**) جمعٌ ، مفرده قاعدة .

والقاعدة في اللغة : بمعنى الأساس .وهي:أساس الشيء وأصوله ،حسيّاً كان ذلك الشيء:كقواعد البيت،أو معنوياً:كقواعد الدين أي دعائمه(١).

وأما في الاصطلاح: ((الأمر الكلي الذي ينطبق عليه جزئيات كثيرة تفهم أحكامها منها))(٢).

ومثال القواعد:(الضرر يزال) ،و(المشقة تجلب التيسير)،و(الأمور بمقاصدها)...

فكل قاعدة من هذه القواعد يندرج تحتها جزئيات كثيرة تأخذ حكمها وتدل عليها.

ثم ذكر المؤلف-رحمه الله-القواعد ووصفها بأنها أربع ،وهي مستنبطة بالاستقراء من كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ وسيرته.

---

(١) انظر:"المفردات في غريب القرآن"(ص٤٠٩)،"تاج العروس"للزبيدي(٤٧٣/٢).

(٢) انظر:"التعريفات"للجرجاني(ص٩١)،"التوقيف على مهمات التعاريف"للمناوي(ص٥٦٩)،"الكليات"لأبي البقاء الكفوي(ص٧٢٨)،"كشاف اصطلاحات الفنون"للتهانوي(١١٧٦/٥)،"القواعد الفقهية"للندوي(ص٤٠).

القَاعِدَةُ الأُولَى

أنْ تَعْلَمَ أَنَّ الكُفَارَ الذينَ قَاتَلَهُم رَسُولُ اللهِ ° مُقِرُّونَ بأنَّ اللهَ تَعَالَى هو الخَالِقُ المُدَبِرُ ، وأَنَّ ذَلِكَ لَمْ يُدْخِلْهُم في الإسْلَامِ .

و الدليلُ قَولُهُ تَعَالَى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِنَ السّمَآءِ وَالأرْضِ أَمّن يَمْلِكُ السّمْعَ والأبْصَارَ ، وَمَن يُخرِجُ الْحَيّ مِنَ الْمَيّتِ ، وَيُخْرِجُ الْمَيّتَ مِنَ الْحَيّ ، وَمَن يُدَبّرُ الأمْرَ ، فَسَيَقُولُونَ اللّهُ فقُلْ أَفَلاَ تَتّقُونَ ﴾ [يونس : ٣١].

هذه القاعدة الأولى : أن أهل الشرك والوثنية في الجاهلية كانوا يقرون بتوحيد الربوبية ويعترفون بأن الله تعالى هو الخالق الرازق المدبر، ولكن مع هذا الإقرار والاعتراف لم يكونوا مسلمين ؟و لم ينجيهم من العذاب؟ لماذا؟

لأن الإسلام الحق يستلزم بأن يوحد اللهَ العبدُ ، توحيداً تاماً بأقسامه الثلاثة وهي: توحيد الربوبية ، وتوحيد الألوهية ، وتوحيد الأسماء والصافات(١) .

فإنه ما من شيءٍ على هذه الأرض إلا ويشهد بأن الله سبحانه وتعالى هو الخالق المدبر الرازق .

فالتوحيد ليس هو الإقرار بالربوبيّة فحسب، والشرك ليس هو الشرك في الربوبيّة فحسب، بل ليس هناك أحدٌ أشرك في الربوبيّة إلا شواذّ من الخلق، وإلاّ فكل

---

(١) وهذا التقسيم للتوحيد ليس بدعاً كما شغب به بعضهم ،قال الشيخ بكر أبو زيد-حفظه الله-:"وهذا التقسيم الاستقرائي لدى متقدمي علماء السلف أشار إليه ابن منده وابن جرير الطبري وغيرهما،وقرره شيخا الإسلام ابن تيمية وابن القيم،وقرره الزبيدي في تاج العروس،وشيخنا الشنقيطي في أضواء البيان في آخرين رحم الله الجميع،وهو استقراء تام لنصوص الشرع،وهو مطرد لدى أهل كل فن؛كما في استقراء النحاة كلام العرب إلى :اسم وفعل وحرف،والعرب لم تفه بهذا،و لم يعتب على النحاةفي ذلك عاتب،وهكذا من أنواع الاستقراء"["التحذير من مختصرات الصابوني"(ص٣٠)].

الأمم تُقِرّ بتوحيد الربوبية!

وتوحيد الربوبية هو : الإقرار بأنّ الله هو الخالق الرازق المحيي المميت المدبّر، أو بعبارة أخصر : توحيد الربوبية هو : إفراد الله ـــ تعالى ـــ بأفعاله ـــ سبحانه وتعالى ـــ.

والتوحيد الذي دعت إليه الرسل هو: دعوة الناس إلى إفراد الله وحده بالعبادة ،أما بالنسبة لتوحيد الربوبية فهو منتشرٌ معروف معلوم، ولذلك أستدل المؤلف- رحمه الله- بأنهم موحدون بتوحيد الربوبية بقوله تعالى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَآءِ وَالأرْضِ ، أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ والأبْصَارَ ، وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ ، وَيُخْرِجُ الْمَيَّتَ مِنَ الْحَيِّ ، وَمَن يُدَبِّرُ الأمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللّهُ فَقُلْ أَفَلاَ تَتَّقُونَ﴾ [يونس : ٣١].

وقال -جلّ في علاه-:﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴾ [الزخرف:٩].

وقال تعالى : ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾ [الزخرف:٨٧].

وقال : ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ ﴾ [لقمان:٢٥] .

((فليس التوحيد هو الإقرار بتوحيد الربوبيّة كما يقول ذلك علماء الكلام والنُظَّار في عقائدهم، فإنّهم يقرّرون بأنّ التوحيد هو الإقرار بأن الله هو الخالق الرازق المحيي المميت، فيقولون : (واحد في ذاته لا قسيم له، واحد في صفاته لا شبيه له، واحدٌ في أفعاله لا شريك له) وهذا هو توحيد الربوبيّة، ارجعوا إلى أيّ كتاب من كتب علماء الكلام تجدوهم لا يخرجون عن توحيد الربوبيّة، وهذا ليس هو التوحيد الذي بعث الله به الرسل، والإقرار بهذا وحده لا ينفع

صاحبه، لأنّ هذا أقرّ به المشركون وصناديد الكَفَرة، ولم يُخرجهم من الكفر، ولم يُدخلهم في الإسلام، فهذا غلطٌ عظيم، فمن اعتقد هذا الاعتقاد ما زاد على

اعتقاد أبي جهل وأبي لهب، فالذي عليه الآن بعض المثقّفين هو تقرير توحيد الربوبية فقط، ولا يتطرّقون إلى توحيد الألوهيّة، وهذا غلطٌ عظيم في مسمّى التوحيد .

وأما الشرك فيقولون : (هو أن تعتقد أنّ أحدًا يخلُق مع الله أو يرزق مع الله)، نقول : هذا ما قاله أبو جهل وأبو لهب، ما قالوا إن أحدًا يخلُق مع الله ويرزُق مع الله، بل هم مقرّون بأن الله هو الخالق الرازق المحيي المميت))(١).

قوله:(**والدليل قوله تعالى:** ﴿ **قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِنَ السّمَآءِ وَالأرْضِ أَمّن يَمْلِكُ السّمْعَ والأبْصَارَ * وَمَن يُخْرِجُ الْحَيّ مِنَ الْمَيّتِ * وَيُخْرِجُ الْمَيّتَ مِنَ الْحَيّ *وَمَن يُدَبّرُ الأمْرَ * فَسَيَقُولُونَ اللّهُ فَقُلْ أَفَلاَ تَتّقُونَ**﴾ [يونس : ٣١]).

قال ابن كثير-رحمه الله-: ((يحتج تعالى على المشركين باعترافهم بوحدانيته وربوبيته على وحدانية إلاهيته فقال تعالى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَآءِ والأَْرْضِ ﴾ أي :من ذا الذي يترل من السماء ماء المطر فيشق الأرض شقاً بقدرته ومشيئته فيخرج منها ﴿ حَبّاً * وَعِنَباً وَقَضْباً * وَزَيْتُوناً وَنَخْلاً * وَحَدَآئِقَ غُلْباً * وَفَـــاكِهَةً وَأَبّاً ﴾ أإله مع الله ؟ فسيقولون :الله... ﴿ فَقُلْ أَفَلاَ تَتَّقُونَ} أي :أفلا تخافون منه أن تعبدوا معه غيره بآرائكم وجهلكم وقوله: ﴿ فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ ﴾ الآية أي فهذا الذي اعترفتم بأنه فاعل ذلك كله هو ربكم وإلهكم الحق الذي يستحق أن يفرد بالعبادة ﴿ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ

(١)"شرح القواعد الأربع"للفوزان(ص١٩-بتحقيقي).

....

الضَّلاَلُ﴾ أي: فكل معبود سواه باطل لا إله إلا هو واحد لا شريك له ﴿ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴾ أي :فكيف تصرفون عن عبادته إلى عبادة ما سواه وأنتم تعلمون أنه الرب الذي خلق كل شيء والمتصرف في كل شيء، وقوله: ﴿ كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُواْ ﴾ الآية، أي :كما كفر هؤلاء المشركون واستمروا على شركهم وعبادهم مع الله غيره مع أهم يعترفون بأنه الخالق المتصرف في الملك وحده الذي بعث رسله بتوحيده، فلهذا حقت عليهم كلمة الله أهم أشقياء من ساكني النار كقوله: ﴿ قَالُواْ بَلَى وَلَـــكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَـــافِرِين ﴾))(١).

(١)"تفسير ابن كثير"(٢٣٢/٤).

القَاعِدَةُ الثَّانِيةُ

أَنَّهُمْ يَقُولُونَ : مَا دَعَوْنَاهُمْ وَتَوجَّهنَا إِليهِم إلاَّ لِطَلَبِ القُربَةِ وَالشَّفَاعَةِ .
فَدَلِيلُ القُرْبَةِ قَولُهُ تَعَالَى: ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴾ [الزمر :٣] .

بعد أن فرغ المؤلف-رحمه الله- في القاعدة الأولى من تقرير أن شرك المشركين القدامى لم يكن في الاعتراف والإقرار بربوبية الله وإنما في صرف العبادة لغيره ،انتقل لبيان وتقرير القاعدة الثانية وهي أنّ المشركين في الجاهلية ما وحدوا الأصنام والأوثان وأفردوها بالعبادة ، وإنما كانوا يعبدون الله -سبحانه وتعالى- ، وما هذه الأصنام والأوثان التي عُبِدت في زمانهم من دون الله إلا وسائط وقربى اتخذوها من أجل أن يتقربوا بها إلى الله تعالى لا من أجل أنها هي التي تنفع وتضر!!

وإنما هي عبارة عن صورٍ لصالحين مضوا صوروها لهم ، فلما صُوُرتْ هذه الصُور على هيئة أصنام توجهوا لعبادتها من دون الله تعالى من أجل أن يستغيثوا بها لتُقَربهم إلى الله تعالى ، وحتى تشفع لهم شفاعةً عند ربهم ، فهم عبدوا الأصنام من باب اتخاذها وسائل للقُربة إلى الله -عزّ وجلّ- كما في قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴾ [الزمر :٣] .

قال ابن كثير-رحمه الله-:((..أخبر -عزّ وجلّ- عن عُبّاد الأصنام من المشركين أنهم يقولون: ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ أي: إنما يحملهم على عبادتهم لهم أنهم عمدوا إلى أصنام اتخذوها على صور الملائكة المقربين في زعمهم ،فعبدوا تلك الصور تتريلاً لذلك متزلة عبادتهم الملائكة ليشفعوا لهم عند الله تعالى في نصرهم ورزقهم وما ينوبهم من أمور الدنيا، فأما المعاد فكانوا جاحدين له كافرين به.

قال قتادة والسدي ومالك عن زيد بن أسلم وابن زيد: ﴿ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴾ أي: ليشفعوا لنا ويقربونا عنده متزلة ولهذا كانوا يقولون في تلبيتهم إذا حجوا في جاهليتهم لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك.

وهذه الشبهة هي التي اعتمدها المشركون قديم الدهر وحديثه وجاءتهم الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين بردّها والنهي عنها والدعوة إلى إفراد العبادة لله وحده لا شريك له وأنّ هذا شيء اخترعه المشركون من عند أنفسهم لم يأذن الله فيه ولا رضي به بل أبغضه ونهى عنه { وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللَّهَ وَاجْتَنِبُواْ الْطَّـاغُوتَ﴾ ، ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِى إِلَيْهِ أَنَّهُ لاإِلَـهَ إِلاَّ أَنَاْ فَاعْبُدُونِ﴾ وأخبر أن الملائكة التي في السماوات من الملائكة المقربين وغيرهم كلهم عبيد خاضعون لله لا يشفعون) عنده إلا بإذنه لمن ارتضى وليسوا عنده كالأمراء عند ملوكهم يشفعون عندهم بغير إذنهم فيما أحبه الملوك وأبوه ﴿ فَلاَ تَضْرِبُواْ لِلَّهِ الأَمْثَالَ﴾ تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً))(١).

(١)"تفسير ابن كثير"(٧/٧٤).

فهذا هو الباب الأول الذي يلج منه من يلج إلى الشرك وأوحاله ، وأما الباب الثاني: فهو الشفاعة.

ودَلِيلُ الشَّفَاعَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ ﴾ [يونس : ١٨ **] .**

والشَّفَاعَةُ شَفَاعَتَانِ : شَفَاعَةٌ مَنْفِيَةٌ ،وشَفَاعَةٌ مُثْبَتَةٌ .

فالشَّفَاعَةُ المنفِيَةُ: مَا كَانت تُطْلَبُ مِنْ غَيرِ اللهِ فيمَا لا يَقْدِرُ عَليهِ إلَّا اللهُ .

والدَّلِيلُ قَولُهُ تَعَالَى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لا بَيْعٌ فِيهِ وَلا خُلَّةٌ وَلا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [البقرة : ٢٥٤ **].**

وَالشَّفَاعَةُ المُثْبَتَةُ هِيَ: التي تُطْلَبُ مِنْ اللهِ . والشَّافِعُ مُكْرَمٌ بالشَّفَاعَةِ ، والمَشْفُوعُ لَهُ مَنْ رَضِيَ اللهُ قَولَهُ وعَمَلَهُ بعد الإذنِ ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة : ٢٥٥ **].**

الشفاعة في اللغة من الشفع، قال ابن فارس-رحمه الله-:((الشين والفاء والعين أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على مقارنة الشيئين. من ذلك الشَّفْع خلاف الوَتْر. تقول: كان فرداً فشفَعْتُه))(١).

وقال ابن الأثير-رحمه الله-:((يقال :شفَع يَشْفَع شَفاعةً فهو شَافِع وشَفِيعٌ .والمُشَفِّع :الذي يَقْبل الشَّفاعةَ ،والمُشَفَّع: الذي تُقْبَل شفاعتُه..))(٢).

وتعريفها شرعاً هو: ((سؤال الشافع الخيرَ لغيره)) أو: ((توسط الشافع لغيره بجلب نفع أو دفع ضره، أو رفعه)) أو: ((هي السؤال في التجاوز عن الذنوب

(١)"معجم مقاييس اللغة"(١٥٥/٣)،وانظر:"لسان العرب"(١٨٤/٨).

(٢)"النهاية في غريب الحديث"(٤٨٥/٢).

والجرائم))(١).

قوله:(والشفاعة شفاعتان : شفاعة منفية ،وشفاعة مثبتة..) .

يفيد أن الشفاعة نوعان:

١- مثبتة: وهي التي توافرت فيها شروط الشفاعة.

١- منفية: وهي التي لم تتوافر فيها تلك الشروط.

والشفاعة المثبتة لها شرطان ذكرهما المؤلف-رحمه الله- وهما:

١- إذن الله للشافع، قال تعالى: ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴾ [البقرة:٢٥٥].

٢- رضاه عن المشفوع له: قال الله تعالى: ﴿وَلا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ [الأنبياء:٢٨]،ولا يرضى الله تعالى إلا عن أهل التوحيد.

قال ابن القيم-رحمه الله-:((فهذه ثلاثة أصول ..لا شفاعة إلاّ بإذنه ،ولا يأذن إلا لمن رضي قوله وعمله،ولا يرضى من القول والعمل إلا توحيده واتباع رسوله))(٢).

وبعض العلماء يزيد شرطين آخرين وهما:

---

(١)انظر:" النهاية في غريب الحديث"(٤٨٥/٢)،"لوامع الأنوار البهية"(٢٠٤/٢)،"شرح لمعة الاعتقاد"لابن عثيمين(ص١٢٨)،"الشفاعة"للجديع(ص١٥).

(٢)"مدارج السالكين"(٣٤١/١).

٣- قدرة الشافع على الشفاعة، كما قال تعالى في حق الشافع الذي يطلب منه: ﴿ وَلا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [الزخرف:٨٦]. فعلم أن طلبها من الأموات طلب ممن لا يملكها.

٤- إسلام المشفوع له، قال تعالى: ﴿ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾ [غافر:١٨]. والمراد بالظالمين هنا: الكافرون ،ويستثنى منهم أبو طالب.

وهذان الشرطان الأخيران - في الحقيقة - يدخلان في الشرطين الأولين؛ فلا يَقْدر على الشفاعة إلا من أذن له الله، ولا يُشفع إلا لمسلم.

و الناس في أمر الشفاعة على ثلاثة أصناف:

١- صنف غلا في إثباتها: وهم النصارى ،والمشركون، وغلاة الصوفية، والقبوريون، حيث جعلوا شفاعة من يعظمونه عند الله يوم القيامة كشفاعته في الدنيا، حيث اعتقدوا أن هؤلاء المعظمين يشفعون استقلالاً.

٢- وصنف أنكر الشفاعة: كالمعتزلة والخوارج؛ حيث أنكروا شفاعة النبي ﷺ وغيره لأهل الكبائر، وقصروا الشفاعة على التائبين من المؤمنين، لأن إثبات الشفاعة للفساق ينافي مبدأ الوعيد في مذهبهم الباطل، فهم يرون وجوب إنفاذ الوعيد لمن استحقه، ولا يرون الشفاعة له لا من النبي ﷺ ولا من غيره.

٣- وصنف توسط: وهم أهل السنة والجماعة؛ فلم ينفوا كل شفاعة، و لم يثبتوا كل شفاعة،بل أثبتوا من الشفاعة ما دلّ عليه الدليل من الكتاب والسنة، ونفوا منها ما نفاه الدليل؛ فالشفاعة المثبتة عندهم هي التي تطلب من الله عز وجل وهي التي تكون للموحدين بعد إذن الله للشافع ورضاه عن المشفوع له؛ فلا تطلب من غير الله، ولا تكون إلا بعد إذنه ورضاه (١).

فهذه الشفاعة يثبتها أهل السنة بأنواعها، بما في ذلك الشفاعة لأهل الكبائر. وأما الشفاعة المنفية عند أهل السنة فهي التي نفاها الشرع، وهي التي تطلب من غير الله استقلالاً، و لم تتوافر فيها شروط الشفاعة.

قال ابن تيمية-رحمه الله-: ((وَإِذَا كَانَ اللَّهُ لَا يَشْفَعُ أَحَدٌ عِنْدَهُ إلَّا بِإِذْنِهِ وَلَا يَشْفَعُونَ إلَّا لِمَنْ ارْتَضَى : فَمَا بَقِيَ الشُّفَعَاءُ شُرَكَاءَ كَشَفَاعَةِ الْمَخْلُوقِ عِنْدَ الْمَخْلُوقِ . فَإِنَّ الْمَخْلُوقَ يَشْفَعُ عِنْدَهُ نَظِيرُهُ - أَوْ مَنْ هُوَ أَعْلَى مِنْهُ أَوْ دُونَهُ - بِدُونِ إذْنِ الْمَشْفُوعِ إلَيْهِ . وَيَقْبَلُ الْمَشْفُوعُ إلَيْهِ وَلَا بُدَّ شَفَاعَتُهُ : إمَّا لِرَغْبَتِهِ إلَيْهِ أَوْ فِيمَا عِنْدَهُ مِنْ قُوَّةٍ أَوْ سَبَبٍ يَنْفَعُهُ بِهِ أَوْ يَدْفَعُ عَنْهُ مَا يَخْشَاهُ وَإِمَّا لِرَهْبَتِهِ مِنْهُ وَإِمَّا لِمَحَبَّتِهِ إيَّاهُ وَإِمَّا لِلْمُعَاوَضَةِ بَيْنَهُمَا وَالْمُعَاوَنَةِ وَإِمَّا لِغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ الْأَسْبَابِ . وَتَكُونُ شَفَاعَةُ الشَّفِيعِ : هِيَ الَّتِي حَرَّكَتْ إرَادَةَ الْمَشْفُوعِ إلَيْهِ وَجَعَلَتْهُ مُرِيدًا

(١) انظر:"شرح صحيح مسلم"للنووي(٣/٣٥)،"مجموع الفتاوى"لابن تيمية(١/١٤٨)،"فتح الباري"(١١/٣٥٧)،"شرح العقيدة الطحاوية"لابن أبي العز(١/٢٩٣-٢٩٤)،و"لوامع الأنوار البهية"للسفاريني(٢/٢١٢)،"تيسير العزيز الحميد"(ص٢٧٣-٢٩٧).

لِلشَّفَاعَةِ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ مُرِيدًا لَهَا . كَأَمْرِ الْآمِرِ الَّذِي يُؤَثِّرُ فِي الْمَأْمُورِ . فَيَفْعَلُ مَا أَمَرَهُ بِهِ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ مُرِيدًا لِفِعْلِهِ))(١).

وجملة القول : إن الشفاعة المنفية هي التي تطلب بغير إذن الله، أو تطلب لمشرك .

والشفاعة المثبتة هي التي تكون بعد إذن الله، ولأهل التوحيد .

(١)"مجموع الفتاوى"(١٤/٣٨١).

القَاعِدَةُ الثَّالِثَةُ

أَنَّ النَّبِيَ ° ظَهَرَ عَلَى أُنَاسٍ مُتَفَرِقِينَ في عِبَادَاتِهِمْ : مِنْهُمْ مَنْ يَعْبُد الملائِكَةِ ، و مِنْهُمْ مَنْ يَعْبُد الأنبياءَ والصالحينَ ، و مِنْهُمْ مَنْ يَعْبُد الأَشْجَارَ والَأحْجَارَ ، و مِنْهُمْ مَنْ يَعْبُد الشَّمْسَ والقَمَرَ ، وقَاتَلَهُم رَسُولُ الله ° ولم يُفرِّقْ بَيْنَهُم ، و الدليلُ قَولُهُ تَعَالَى : ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتّىَ لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدّينُ كُلّهُ لله ﴾ [الأنفال ٣٩ **].**

هذه قاعدة عظيمة : أن الله -سبحانه وتعالى- لا يرضى الشرك، دون النظر عن المُشْرَكِ به، فإنه لم يرتضِ -سبحانه- الشرك، سواءٌ كان المشرك به ملكاً، أو نبياً، أو ولياً صالحاً، أو جناً، أو شجراً، أو حجراً، أو غير ذلك، فإن الله -تعالى- حرّم الشرك، وحذر منه بجميع أنواعه وصوره.

قوله:(.. أن النبي صلى الله عليه وسلم ظهر على أناس متفرقين في عباداهم..)

فليسوا مجتمعين على عبادة واحدة، بل هم طرائق وسبل متعددة في اتخاذ معبوداهم الباطلة،منهم من يعبد ماذكره المؤلف،ومنهم من يعبدها جميعاً ومنهم من يجمع بين بعضها دون بعض ، وهذا من قبح الشرك فأصحابه لا يجتمعون على شيء واحد، بخلاف الموحّدين فإنّ معبودهم واحد ـــ سبحانه وتعالى ـــ ﴿ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾ [يوسف:٣٩].

ولاريب أنّ النبي ° لم يُفَرِّق بين من يعبد الملائكة،والصالحين، وبين من يعبد الحجر ،ولم يقل: للذين يعبدون الملائكة: هؤلاء الذين يعبدون الملائكة لا يضر وليس بشرك، لأن لهم منـــزلة ومكانة عند الله، ولم يقل للذين يعبدون الصالحين :هؤلاء لم يشركوا ،أو أنّ شركهم يختلف عن من عبد الأوثان والأصنام والنجوم

والكواكب..بل إنه ° لم يرضَ الشـــرك بجميع صوره وأنواعه وحاربه وحذر منه أيما تحذير.

فإن الله -سبحانه وتعالى- جعل الشرك ملةً واحدة، وطريقةً واحدة، وكذلك النبي ° حرّم الشرك كله، وقاتل أهل الشرك على اختلاف أصنافهم ومللهم ومعبوداهم.

فالشرك لا تفريق فيه بين مَنْ يعبُد رجلاً صالحـــًا أو يعبُد صنمـــًا أو حجرًا أو شجرًا، لأن الشرك هو : عبادة غير الله كائنـــًا مَنْ كان، ولهذا يقول : ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً ﴾ [النساء:٣٦] ، وكلمة { شيئـــًا } في سياق النهي تعمّ كلّ شيء، تعمّ كل مَنْ أُشرك مع الله ـــ عزّ وجل ـــ من الملائكة والرسل والصالحين والأولياء، والأحجار والأشجار .

قوله:(وقاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يفرق بينهم)

فالرسول ° لم يفرّق بينهم، بل اعتبرهم مشركين كلّهم، واستحلّ دماءهم وأموالهم، ولم يفرِّق بينهم، فالذين يعبدون المسيح، والمسيح رسول الله، ومع هذا قاتلهم . واليهود يعبدون عُزيرًا، وهو من أنبيائهم، أو من صالحيهم، قاتلهم رسول الله ° ، لم يفرِّق بينهم .

قوله:(و الدليل قوله تعالى: ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتّىَ لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدّينُ كُلّهُ لله ﴾ [الأنفال ٣٩])

أي : الدليل على قتال المشركين من غير تفريق بينهم حسب معبوداهم؛ قوله تعالى : { وقاتلوهم }، وهذا عامّ لكل المشركين، لم يُستثن أحدًا، ثم قال : { حتى لا تكون فتنة } والفتنة : الشرك، أي : لا يوجَد شرك، وهذا عامّ؛ أيَّ شركٍ، سواءً الشرك في الأولياء والصالحين، أو بالأحجار، أو بالأشجار، أو

بالشمس، أو بالقمر .

{ ويكون الدين كلّه لله } : تكون العبادة والطاعة كلها لله، ليس فيها شَرِكَةٌ لأحد كائنـًا مَنْ كان، فلا فرق بين الشرك بالأولياء والصالحين أو بالأحجار أو بالأشجار أو بالشياطين أو غيرهم .

قال ابن جرير-رحمه الله-:((يقول -تعالى ذكره- لنبيه محمد ° : وقاتلوا المشركين الذين يقاتلونكم حتى لا تَكُونَ فتنةٌ يعني: حتى لا يكون شرك بالله، وحتى لا يعبد دونه أحد، وتضمحل عبادة الأوثان الآلهة والأنداد، وتكون العبادة والطاعة لله وحده دون غيره من الأصنام والأوثان..))(١).

وقال ابن كثير-رحمه الله-:((قال الضحاك عن ابن عباس { وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ} يعني :حتى لا يكون شرك، وكذا قال أبو العالية ومجاهد والحسن وقتادة والربيع بن أنس والسدي ومقاتل بن حيان وزيد بن أسلم،...وقوله { وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلهِ} قال الضحاك: عن ابن عباس في هذه الآية، قال يخلص التوحيد لله، وقال الحسن وقتادة وابن جريج { وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلهِ}: أن يقال لا إله إلا الله، وقال محمد بن إسحاق: ويكون التوحيد خالصاً لله، ليس فيه شرك، ويخلع ما دونه من الأنداد..))(٢).

(١)"تفسي الطبري"(١١٢/٢).

(٢)"تفسير ابن كثير"(٤٨/٤).

ودَلِيلُ الشَّمْسِ والقَمَرِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُون َ﴾ [فصلت :٣٧] .

ذكر المؤلف -رحمه الله-هاهنا الدليل على تفرق هؤلاء، وتنوع عباداهم، واختـــلاف طرائقهم في العبادة.

ثم ذكر الدليل على أنّ هناك مَن يسجُد للشمس والقمر. فهناك مَن يسجُد للشمس عند طلوعها ويسجد لها عند غروبها، وقد جاء النهي أنْ نصليَ في هذين الوقتين -وإنْ كانت الصلاة لله-؛ لِماَ في الصلاة في هذا الوقت من مشابهة لفعل المشركين ،فجاء المنعُ من ذلك سدًّا للذريعة التي تُفضي إلى الشرك.

فعَنْ ابْنِ عُمَرَ-رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ° قَالَ:

((لَا يَتَحَرَّى أَحَدُكُمْ فَيُصَلِّي عِنْدَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَلَا عِنْدَ غُرُوبِهَا))(١).

وعن أَنَس بْن مَالِك -رَضِيَ اللَّه عَنْه- : سَمِعْت رَسُول اللَّه ° يَقُول :

((تِلْكَ صَلَاة الْمُنَافِق: يَجْلِس يَرْقُب الشَّمْس حَتَّى إِذَا كَانَتْ بَيْن قَرْنَيْ الشَّيْطَان، قَامَ فَنَقَرَهَا أَرْبَعًا لَا يَذْكُر اللَّه فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا))(٢).

قال النووي-رحمه الله-:((قَوْله صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (بَيْن قَرْنَيْ الشَّيْطَان) اِخْتَلَفُوا فِيهِ فَقِيلَ : هُوَ عَلَى حَقِيقَته وَظَاهِر لَفْظه ، وَالْمُرَاد أَنَّهُ يُحَاذِيهَا بِقَرْنَيْهِ عِنْد غُرُوبِهَا ، وَكَذَا عِنْد طُلُوعها ؛ لِأَنَّ الْكُفَّار يَسْجُدُونَ لَهَا حِينَئِذٍ فَيُقَارِنهَا لِيَكُونَ السَّاجِدُونَ لَهَا فِي صُورَة السَّاجِدِينَ لَهُ ، وَيُخَيِّل لِنَفْسِهِ وَلِأَعْوَانِهِ أَنَّهُمْ إِنَّمَا

---

(١)أخرجه البخاري(٥٨٥)،ومسلم(٨٢٨).

(٢)أخرجه مسلم(٦٢٢).

....

يَسْجُدُونَ لَهُ))(١).

فالرسول ° جاءِ بالنهي عن الشرك وسدّ ذرائعه المفضية إليه .

(١)"شرح مسلم"للنووي(٥/١٢٤).

وَدَلِيلُ المَلَائِكَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَلا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَاباً ﴾ [آل عمران : ٨٠].

وَدَلِيلُ الأَنْبِيَاءِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ، قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴾ [المائدة : ١١٦] .

ثم ذكر المؤلف-رحمه الله- الدليل على أنّ هناك من عبد الملائكة والنبيين،وأنّ ذلك شرك.

قال ابن كثير-رحمه الله-في تفسير الآية :((أي: ولا يأمركم بعبادة أحد غير الله: لا نبي مرسل ولا ملك مقرب { أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ} أي: لا يفعل ذلك إلا من دعا إلى عبادة غير الله،لأن من دعا إلى عبادة غير الله فقد دعا إلى الكفر، والأنبياء إنما يأمرون بالإيمان وهو عبادة الله وحده لا شريك له، كما قال تعالى: { وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِى إِلَيْهِ أَنَّه لاإله إِلاَّ أَنَاْ فاعْبُدُونِ} وقال تعالى: { وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللَّهَ وَاجْتَنِبُواْ الْطَّـاغُوتَ} الآية، وقال: { وَاسْئلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَـنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ} وقال إخباراً عن الملائكة: { وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّى إِلَـهٌ مِّن دُونِهِ فَذلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِى الظَّـالِمِينَ}))(١).

---

(١)"تفسير ابن كثير"(٢/٥٦).

ثم ذكر المؤلف-رحمه الله-الدليل على أن عبادة الأنبياء شرك مثل عبادة الأصنام .

وفيه ردٌّ على هؤلاء الذين يقولون : إن الشرك عبادة الأصنام، ولا يسوَّى عندهم بين مَن عبد الأصنام وبين مَن عبد وليـّا أو رجلاً صالحـًا، وينكرون التسوية بين هؤلاء، ويزعمون أنّ الشرك مقصورٌ على عبادة الأصنام فقط، وهذا من المغالَطة الواضحة.

فالله تعالى سَيَسْأَلُ يوم القيامة عيسى بن مريم ـــ مع علم الله تعالى بالجواب ، ولكن حتى يكون حجةً على الخليقَة- هل أمر هؤلاء النصارى بعبادته ؟ لأنهم يعبدونَهُ من دون الله !!

فيتبرأ عيسى بن مريم من هؤلاء ، ويُبين أنه إنما دعاهم إلى توحيد الله وإفراده بالعبادة ، و إلى ترك الشرك والحذر منه كما قال تعالى: ﴿ **وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ، قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي** ﴾ تنزيها لك يا ربّ وتعظيما أن أفعل ذلك أو أتكلم به، ما يكون لي ﴿ **أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ** ﴾ [المائدة : ١١٦] .

فيتبرأ عيسى بن مريم -عليه السلام-يوم القيامة من الشرك ، بل إنه يتبرأُ من الشرك أيضاً في الدنيا قبل قِيام الساعة حين ينـــزل من السماء إلى الأرض ويدعو الناس إلى التوحيد الخالص، ويتبرأُ أيضاً من عُبّاد الصليب ،فعن أبي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَال:َ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ° :

((وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزِلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا عَدْلًا ،فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلَ الْخِنْزِيرَ ،وَيَضَعَ الْجِزْيَةَ ،وَيَفِيضَ الْمَالُ حَتَّى لَا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ ،حَتَّى تَكُونَ السَّجْدَةُ الْوَاحِدَةُ خَيْرًا مِنْ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا)). ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ :وَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿ وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ

يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً ﴾ [النساء:١٥٩](١).

(١)أخرجه البخاري(٣٢٦٤)واللفظ له،ومسلم(١٥٥).

ودَلِيلُ الصَّالِحِينَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ﴾ [الإسراء:٥٧].

أي: الدليل على أن هناك من كان يعبد الصالحين من البشر على زمن النبي صلى الله عليه وسلم ،قول الله نعالى: ﴿ **أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ**﴾.

((قوله تعالى: {أُولَـٰئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ} (أولئك) مبتدأ (الذِين) صفة (أولئك) وضمير الصلة محذوف؛ أي يدعوهم. يعني أولئك المدعوّون. و {يَبْتَغُونَ} خبر، أو يكون حالاً، و (الّذِين يَدْعُون) خبر؛ أي يدعون إليه عباداً أو عبادة إلى عبادته.

وعن عبد الله بن مسعود-رضي الله عنه- في قوله عز وجل: {أُولَـٰئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ} قال: نفر من الجن أسلموا وكانوا يُعبدون، فبَقِيَ الذين كانوا يَعبدون على عبادهم وقد أسلم النفر من الجن(١).

وفي رواية قال: نزلت في نفر من العرب كانوا يعبدون نفراً من الجن فأسلم الجنيون و (الإنس) الذين كانوا يعبدوهم لا يشعرون؛ فترلت {أُولَـٰئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ} .

ومنه أيضاً: أهم الملائكة كانت تعبدهم قبائل من العرب؛ ذكره الماوردي. وقال ابن عباس ومجاهد: عُزير وعيسى.

و (يبتغون) يطلبون من الله الزلفة والقربة، ويتضرعون إلى الله تعالى في طلب الجنة، وهي الوسيلة. أعلمهم الله تعالى أن المعبودين يبتغون القربة إلى رهم. والهاء والميم في (رهم) تعود على العابدين أو على المعبودين أو عليهم جميعاً. وأما (يدعون) فعلى العابدين. (ويبتغون) على المعبودين.

{أَيُّهُمْ أَقْرَبُ} ابتداء وخبر. ويجوز أن يكون (أيّهم أقرب) بدلاً من الضمير في (يبتغون)، والمعنى: يبتغي أيهم أقرب الوسيلة إلى الله.

{وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُوراً} أي:

---

(١)أخرجه مسلم(٣٠٣٠).

مَخُوفاً لا أمان لأحد منه؛ فينبغي أن يُحذر منه ويُخاف))(١).

وقد دلت الآية على عدم جواز عبادة الصالحين ، سواءً كانوا من الأنبياء والصدِّيقين، أو من الأولياء والصالحين، فلا تجوز عبادتهم، لأنّ الكُل عبادٌ لله فقراء إليه، فكيف يُعبدون مع الله ــ جلّ وعلا ــ .

وفي الآية رد على من يدعو صالحاً ويقول : أنا لا أشرك بالله شيئاً ، الشرك عبادة الأصنام .

قال ابن تيمية-رحمه الله- في هذه الآية الكريمة ، لما ذكر أقوال المفسرين : ((وهذه الأقوال كلها حق ، فإن الآية تعم من كان معبوده عابداً لله ، سواء كان من الملائكة أو من الجن أو من البشر ، والسلف في تفسيرهم يذكرون تفسير جنس المراد بالآية على نوع التمثيل ، كما يقول الترجمان لمن سأله : ما معنى الخبز ؟ فيريه رغيفاً ، فيقول هذا ، فالإشارة إلى نوعه لا إلى عينه ، وليس مرادهم من هذا تخصيص نوع من شمول الآية ، فالآية خطاب لكل من دعا من دون الله مدعواً ، وذلك المدعو يبتغي الى الله الوسيلة ويرجو رحمته ويخاف عذابه ، فكل من دعا ميتاً أو غائباً من الأولياء والصالحين سواء كان بلفظ الاستغاثة أو غيرها فقد تناولته هذه الآية الكريمة ، كما تتناول من دعا الملائكة والجن ، فقد نهى الله تعالى من دعائهم ، وبين أنهم لا يملكون كشف الضر عن الداعين ولا تحويله ، ولا يرفعونه بالكلية ولا يحولونه من موضع إلى موضع ، كتغيير صفته أو قدره ، ولهذا قال : (ولا تحويلا) فذكر نكرة تعم أنواع التحويل ، فكل من دعا ميتاً أو غائباً من الأولياء والصالحين أو دعا الملائكة فقد دعا من لا يغيثه ولا يملك كشف الضر عنه ولا تحويله))(٢).

---

(١)انظر:"تفسير القرطبي"(١٠/٢٧٩)،"تفسير الطبري"(١٥/٧٢)،"تفسير ابن كثير"(٥/٨١).

(٢)"قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة"(ص٢٦٥،٢٣١،٧٩).

وَدَلِيلُ الأَحْجَارِ والأَشْجَارِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى *وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى ﴾ [النجم:١٩،٢٠] .

قال ابن كثير-رحمه الله-في تفسير الآية:((يقول تعالى مقرعاً للمشركين في عبادتهم الأصنام والأنداد والأوثان، واتخاذهم البيوت لها مضاهاة للكعبة التي بناها خليل الرحمن عليه السلام { أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّـٰتَ} ..))(١).

وقال ابن جرير-رحمه الله-:((يقول تعالى ذكره: أفرأيتم أيها المشركون اللاّت، وهي من الله ألحقت فيه التاء فأنثت، كما قيل عمرو للذكر، وللأنثى عمرة وكما قيل للذكر عباس، ثم قيل للأنثى عباسة، فكذلك سمى المشركون أوثانهم بأسماء الله تعالى ذكره، وتقدّست أسماؤه، فقالوا من الله اللات، ومن العزيز العُزَّى وزعموا أنهن بنات الله، تعالى الله عما يقولون وافتروا، فقال جلّ ثناؤه لهم: أفرأيتم أيها الزاعمون أن اللات والعُزَّى ومناة الثالثة بناتُ الله أَلَكُمُ الذَّكَرُ يقول: أتختارون لأنفسكم الذكرَ من الأولاد، وتكرهون لها الأنثى، وتجعلون لَهُ الأُنْثَى التي لا ترضونها لأنفسكم، ولكنكم تقتلونها كراهة منكم لهنّ..))(٢).

و**{اللات}** ــ بتخفيف التاء ــ : اللات بالطائف، وهي أحدث من مَنَاة وكانت صخرةً مُربَّعة بيضاء منقوشة عليها بيت الطائف له أستار وسدنة وحوله فناء معظم عند أهل الطائف ، وهم ثقيف ومن تبعها ، وكان سَدَنتها من ثَقِيف، وكانوا قد بنوا عليها بناء، فكانت قريش وجميع العرب تعظمها. وبها كانت العرب تسمى زيد الّلات وتيمَ الّلات. وكانت في موضع (منارة) مسجد الطائف اليسرى، فلم تزل كذلك إلى أن أسلمت ثَقِيفٌ، فبعث رسول الله ﷺ المغيرة بن شعبة فهدمها وحرّقها بالنار.

---

(١)"تفسير ابن كثير"(٧/٤٢٢).

(٢)"تفسير ابن جرير"(٢٧/٣٤).

وقُرئ : { أفرأيتم اللاتَّ } ـــ بتشديد التاء ـــ اسم فاعل من (لَتَّ يَلُتُّ)، وهو : رجلٌ صالح كان يلُتُّ السَّويق ويُطعمه للحُجّاج، فلمّا مات بنوا على قبره بيتـــًا، وأرْخوا عليه الستائر، فصاروا يعبدونه من دون الله ـــ عزّ وجل ـــ، هذا هو اللاّت . قال بهذا جماعة من أهل العلم .

ولا منافاة بين القولين . فإنهم عبدوا الصخرة والقبر تأليهاً وتعظيماً .

ولمثل هذا بنيت المشاهد والقباب على القبور واتخذت أوثاناً . وفيه بيان أن أهل الجاهلية كانوا يعبدون الصالحين والأصنام (١).

{والعُزَّى}: وهي أحدث من اللّات، ٱتخذها ظالم بن أسعد، وكانت بوادي نَخْلة الشامية فوق ذات عِرْق، فبنوا عليها بيتاً وكانوا يسمعون منها الصوت، وكان هذا الصنم لقريش وأهل مكّة ومَن حولهم .

قال ٱبن هشام: وحدّثني أبي عن أبي صالح عن ٱبن عباس قال: كانت العُزَّى شيطانة تأتي ثلاث سَمُرات ببطن نَخْلة، فلما ٱفتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة، بعث خالد بن الوليد رضي الله عنه فقال: «ٱيتِ بَطْن نخلة فإنك تجد ثلاث سَمُرات فٱعْضِد الأولى» فأتاها فَعضَدها فلما جاء إليه قال: «هل رأيت شيئاً» قال: لا. قال: «فٱعضِد الثانية» فأتاها فَعضَدها، ثم أتى النبيّ صلى الله عليه وسلم فقال: «هل رأيت شيئاً» قال: لا. قال: «فٱعضِد الثالثة» فأتاها فإذا هو بحبشيّة نافشة شعرها، واضعة يديها على عاتقها تُصَرِّفُ بأنيابها، وخلفها دُبَيَّةُ السُّلَمّي وكان سادِنَها فقال:

يا عُزّ كُفْرَانِك لا سبْحانِك   إني رَأَيْتُ اللَّهَ قَد أهانَكِ

(١)انظر: "تفسير ابن جرير"(٣٤/٢٧)، "تفسير ابن كثير"(٤٢٢/٧)،"إغاثة اللهفان"(٢١١/٢-٢١٢)،"فتح المجيد"(٢٥٣/١-٢٥٥).

ثم ضربها ففلق رأسها فإذا هي حُمَمَة، ثم عَضَد الشجرة وقتل دُبَيَّة السادن، ثم أتى النبيّ صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال: «تلك العُزَّى (ولن تُعبَد أبداً)» (١).

{ ومَنَاة } : فكانت بالمشلل عند قديد ، بين مكة والمدينة ، وكانت خزاعة والأوس والخزرج يعظمونها ويهلون منها للحج ، ويعبدونها من دون الله، وأصل اشتقاقها : من إسم الله المنان ، وقيل : لكثرة ما يمنى ـــ أي يراق ـــ عندها من الدماء للتبرك بها(٢).

فدلت الآية على أنّه كان هناك من المشركين في عهد النبي عليه الصلاة والسلام من يعبد الأحجار والأشجار ، ويقسم بالأشجار وبالأحجار ويجعلونها معبوداتٍ من دون الله -سبحانه وتعالى-،و أنّ عباد هذه الأوثان كانوا يعتقدون حصول البركة منها بتعظيمها ودعائها والاستعانة بها والاعتماد عليها في حصول ما يرجونه منها ويؤملونه ببركتها وشفاعتها وغير ذلك ، فالتبرك بقبور الصالحين كاللات ، وبالأشجار كالعزى ومناة من ضمن فعل أولئك المشركين مع تلك الأوثان ، فمن فعل مثل ذلك واعتقد في قبر أو حجر أو شجر فقد ضاهى عباد هذه الأوثان فيما كانوا يفعلونه معها من هذا الشرك ، على أن الواقع من هؤلاء المشركين مع معبوديهم أعظم مما وقع من أولئك . فالله المستعان .

قال ابن تيمية-رحمه الله-: ((الْمَقْصُودُ أَنَّ أَصْلَ الشِّرْكِ فِي الْعَالَمِ كَانَ مِنْ عِبَادَةِ الْبَشَرِ الصَّالِحِينَ وَعِبَادَةِ تَمَاثِيلِهِمْ ... وَمِنْ الشِّرْكِ مَا كَانَ أَصْلُهُ عِبَادَةَ

---

(١) انظر: "تفسير ابن جرير"(٣٤/٢٧)، "تفسير ابن كثير"(٤٢٢/٧)،"إغاثة اللهفان"(٢١١/٢-٢١٢)،"فتح المجيد"(٢٥٣/١-٢٥٥)

(٢)السابق.

....

الْكَوَاكِبِ؛ إمَّا الشَّمْسُ وَإِمَّا الْقَمَرُ وَإِمَّا غَيْرُهُمَا، وَصَوَّرَتْ الْأَصْنَامُ طَلَاسِمَ لِتِلْكَ الْكَوَاكِبِ ،وَشِرْكُ قَوْمِ إبْرَاهِيمَ - وَاَللَّهُ أَعْلَمُ - كَانَ مِنْ هَذَا ،أَوْ كَانَ بَعْضُهُ مِنْ هَذَا ،وَمِنْ الشِّرْكِ مَا كَانَ أَصْلُهُ عِبَادَةَ الْمَلَائِكَةِ أَوْ الْجِنِّ، وُضِعَتْ الْأَصْنَامُ لِأَجْلِهِمْ ،وَإِلَّا فَنَفْسُ الْأَصْنَامِ الْجَمَادِيَّةِ لَمْ تُعْبَدْ لِذَاتِهَا ،بَلْ لِأَسْبَابٍ اقْتَضَتْ ذَلِكَ، ...))(١).

(١)"مجموع الفتاوى"(١٧/٤٦٠).

وحَدِيثُ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ : ((خَرَجْنَا مَعَ النَّبِي ° إلى حُنَيْنٍ وَنَحْنُ حُدَثَاءَ عَهْدٍ بِكُفْرٍ، ولِلمُشْرِكِينَ سِدْرَةٌ يَعْكُفُونَ عِنْدَهَا،وَيَنُوطُونَ بِهَا أَسْلِحَتَهُم يُقَالُ لَهَا : ذَاتُ أَنْوَاطٍ، فَمَرَرنَا بِسِدْرَةٍ فَقُلْنَا : يَا رَسُولَ اللهِ اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنوَاطٍ ...)) الحديث .

حديث أبي واقد-رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أخرّجه الترمذي في الفتن باب ماجاء لتركبن سنن من كان قبلكم(٢١٨٠)ولفظه:

عَنْ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ ــ رضي الله عنه ــ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ° لَمَّا خَرَجَ إِلَى حُنَيْنٍ مَرَّ بِشَجَرَةٍ لِلْمُشْرِكِينَ يُقَالُ لَهَا ذَاتُ أَنْوَاطٍ يُعَلِّقُونَ عَلَيْهَا أَسْلِحَتَهُمْ ،فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ!، فَقَالَ النَّبِيُّ ° : ((سُبْحَانَ اللَّهِ هَذَا كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَرْكَبُنَّ سُنَّةَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ))(١).

قَالَ أَبُو عِيسَى الترمذي:" هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ ،وَأَبُو وَاقِدٍ اللَّيْثِيُّ اسْمُهُ الْحَارِثُ بْنُ عَوْفٍ".

قَوْلُهُ : (عَنْ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ) صَحَابِيٌّ مشهور ،قِيلَ: اِسْمُهُ الْحَارِثُ بْنُ مَالِكٍ، وَقِيلَ: اِبْنُ عَوْفٍ وَقِيل: عَوْفُ بْنُ الْحَارِثِ ، مات سنة ثمان وستين وهو ابن

---

(١) وأخرجه أحمد(٥/٢١٨)،والطيالسي(١٣٤٦)،والشافعي(٢٣-بدائع المنن)،والحميدي(٨٤٨)،ومعمر في"الجامع"(٢٠٧٦٣)،وابن أبي عاصم في"السنة"(٧٦)،وابن نصر في"السنة"(ص١٢،١١)،وأبويعلى(١٤٤١)،وابن حبان(٦٧٠٢-الإحسان)،والطبري في"تفسيره"(٩/٣١)،والطبراني في"الكبير"(٣٢٩٠-٣٢٩٤)،والالكائي في"شرح أصول اعتقد أهل السنة"(١/١٢٤)،والبغوي في"نتفسيره"(٢/٢٨٠)،والبيهقي في"معلرفة السنن والآثار"(١/١٠٨)،وصححه ابن حبان، وابن حجر في "الإصابة"(٤/٢١٦)،والألباني في"ظلال الجنة"(٧٦)،وقد قمت بدراسته رواية ودراية في جزء مفرد يسر الله نشره.

خمس وثمانين على الصحيح(١).

قَوْلُهُ : (خرجنا مع النبي ° إلى حُنين)وفي حديث عمرو ابن عوف وهو عند ابن أبي حاتم وابن مردويه والطبراني:قال:" غزونا مع رسول الله ° يوم الفتح ، ونحن ألف ونيف حتى إذا كنا بين حنين والطائف ــ" الحديث(٢)، وحُنَيْنٍ مَوْضِعٌ بَيْنَ الطَّائِفِ وَمَكَّةَ .

قَوْلُهُ : (وَنحنُ حُدَثَاءُ عَهْدٍ بِكُفْرٍ) أي: قريب عهدنا بالكفر ، ففيه دليل على أن غيرهم ممن تقدم إسلامه من الصحابة لا يجهل هذا ،وأن المنتقل من الباطل الذي اعتاده قبله لا يأمن أن يكون في قلبه بقية من تلك العادة (٣).

قَوْلُهُ : (وللمشركين سدرة يعكفون عندها) العكوف :هو الإقامة على الشئ في المكان ، ومنه قول الخليل -عليه السلام- : ﴿ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ﴾ [الانبياء:٥٢] وكان عكوف المشركين عند تلك السدرة تبركاً بها وتعظيماً لها ،وفي حديث عمرو : ((كان يناط بها السلاح ،فسميت ذَاتُ أَنْوَاطٍ وكانت تعبد من دون الله)) ،وذَاتُ أَنْوَاطٍ :اِسْمُ شَجَرَةٍ بِعَيْنِهَا كَانَتْ لِلْمُشْرِكِينَ يَنُوطُونَ بِهَا سِلَاحَهُمْ، أَيْ: يُعَلِّقُونَهُ بِهَا ،وَيَعْكُفُونَ حَوْلَهَا، فَسَأَلُوهُ أَنْ يَجْعَلَ لَهُمْ مِثْلَهَا، فَنَهَاهُمْ عَنْ ذَلِكَ .وَأَنْوَاطُ :جَمْعِ نَوْطٍ ،وَهُوَ مَصْدَرٌ سُمِّيَ بِهِ الْمَنُوطُ (٤)

---

(١)"تقريب التهذيب"(ص٦٨٢).وانظر"الإصابة"(٧/٤٥٥-٤٥٦).

(٢)"الدر المنثور"(٣/١١٤).

(٣)"فتح المجيد"(١/٣٦٠).

(٤)"النهاية في غريب الحديث"(٥/١٢٨)،"فتح المجيد"(١/٣٦٠).

وفي هذا بيان أن عبادتهم لها بالتعظيم والعكوف والتبرك ، وبهذه الأمور الثلاثة عبدت الأشجار ونحوها .

قَوْلُهُ : (سُبْحَانَ اللَّهِ) تَنْزِيهًا وَتَعَجُّبًا **(هَذَا)** أي هَذَا الْقَوْلُ مِنْكُمْ والمراد تعظيم الله تعالى وتتريهه عن هذا الشرك بأي نوع كان ، مما لا يجوز أن يطلب أو يقصد به غير الله وكان النبي ° يستعمل التكبير والتسبيح في حال التعجب تعظيماً لله وتتريهاً له إذا سمع من أحد ما لا يليق بالله مما فيه هضم للربوبية أو الإلهية .

(كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَى اِجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ) شبه مقالتهم هذه بقول بني إسرائيل ، بجامع أن كلاً طلب أن يجعل له ما يألهه ويعبده من دون الله ، وإن اختلف اللفظان . فالمعنى واحد ، فتغيير الاسم لا يغير الحقيقة .

ففيه الخوف من الشرك ، وأن الإنسان قد يستحسن شيئاً يظن أنه يقربه إلى الله ، وهو أبعد ما يبعده من رحمته ويقرهب من سخطه ، ولا يعرف هذا على الحقيقة إلى من عرف ما وقع في هذه الأزمان من كثير من العلماء والعباد مع أرباب القبور ، من الغلو فيها وصرف جل العبادة لها ، ويحسبون أنهم على شئ وهو الذنب الذي لا يغفره الله (١).

قال ابن القيم-رحمه الله-:((فإذا كان اتخاذ هذه الشجرة لتعليق الأسلحة والعكوف حولها اتخاذ إله مع الله تعالى، مع أنهم لا يعبدونها ،ولا يسألونها. فما الظن بالعكوف حول القبر، والدعاء به ودعائه ،والدعاء عنده ؟فأي نسبة للفتنة

---

(١)"فتح المجيد"(١/٢٦١).

....

بشجرة إلى الفتنة بالقبر ؟لو كان أهل الشرك والبدعة يعلمون))(١).

وقال ابن أبي شامة-رحمه الله-:

((ومن هذا القسم أيضاً ما قد عم الابتلاء به من تزيين الشيطان للعامة تخليق الحيطان والعمد وإسراج مواضع مخصوصة في كل بلد ، يحكى لهم حاك أنه رأى في منامه بها أحداً ممن شهر بالصلاح والولاية ، فيفعلون ذلك ويحافظون عليه مع تضييعهم لفرائض الله تعالى وسننه ، ويظنون أنهم متقربون بذلك ، ثم يتجاوزون هذا إلى أن يعظم وقع تلك الأماكن في قلوبهم فيعظمونها ويرجون الشفاء لمرضاهم وقضاء حوائجهم بالنذر لها ، وهي من عيون وشجر وحائط وحجر . وفي مدينة دمشق من ذلك مواضع متعددة كعوينة الحمى خارج باب توما والعمود المخلق داخل باب الصغير ، والشجرة الملعونة خارج باب النصر نفس قارعة الطريق سهل الله قطعها واجتثاثها من أصلها ، فما أشبهها بذات أنواط الواردة في الحديث..))(٢).

وقال أبو بكر الطرطوشي-رحمه الله-: ((فانظروا -رحمكم الله-أينما وجدتم سدرة أو شجرة يقصدها الناس ويعظمون من شأنها ويرجون البرء والشفاء من قبلها وينطون بها المسامير والخرق فهي ذات أنواط فاقطعوها!))(٣).

وقال ابن القيم-رحمه الله-:((فما أسرع أهل الشرك إلى اتخاذ الأوثان من دون الله ولو كانت ما كانت ويقولون : إن هذا الحجر ،وهذه الشجرة، وهذه

(١)"إغاثة اللهفان"(١/٢٠٥).

(٢)"الباعث على إنكار البدع والحوادث"(ص١٠١).

(٣)"الحوادث والبدع"(ص١٠٥).

العين تقبل النذر أي تقبل العبادة من دون الله تعالى، فإن النذر عبادة وقربة يتقرب بها الناذر إلى المنذور له ويتمسحون بذلك النصب ويستلمونه ولقد أنكر السلف التمسح بحجر المقام الذي أمر الله تعالى أن يتخذ منه مصلى كما ذكر الأزرقي في كتاب تاريخ مكة عن قتادة في قوله تعالى :{وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلّىً }[البقره : ١٢٥] قال : إنما أمروا أن يصلوا عنده و لم يؤمروا بمسحه ولقد تكلفت هذه الأمة شيئا ما تكلفته الأمم قبلها ذكر لنا من رأى أثره وأصابعه فما زالت هذه الأمة تمسحه حتى اخلولق.

وأعظم الفتنة بهذه الأنصاب : فتنة أنصاب القبور ،وهي أصل فتنة عبادة الأصنام كما قاله السلف من الصحابة والتابعين وقد تقدم.

ومن أعظم كيد الشيطان : أنه ينصب لأهل الشرك قبر معظم يعظمه الناس،ثم يجعله وثنا يعبد من دون الله، ثم يوحي إلى أوليائه : أن من نهى عن عبادته واتخاذه عيدا وجعله وثنا فقد تنقصه وهضم حقه فيسعى الجاهلون المشركون في قتله وعقوبته ويكفرونه وذنبه عند أهل الإشراك : أمره بما أمر الله به ورسوله ونهيه عما نهى الله عنه ورسوله : من جعله وثنا وعيدا وإيقاد السرج عليه وبناء المساجد والقباب عليه وتجصيصه وإشادته وتقبيله واستلامه ودعائه أو الدعاء به أو السفر إليه أو الاستغاثة به من دون الله مما قد علم بالاضطرار من دين الإسلام أنه مضاد لما بعث الله به رسوله : من تجريد التوحيد لله وأن لا يعبد إلا الله فإذا نهى الموحد عن ذلك غضب المشركون واشمأزت قلوبهم وقالوا : قد تنقص أهل الرتب العالية وزعم أنهم لا حرمة لهم ولا قدر وسرى ذلك في نفوس الجهال والطعام وكثير ممن ينسب إلى العلم والدين حتى عادوا أهل التوحيد ورموهم بالعظائم ونفروا الناس عنهم ووالوا أهل الشرك وعظموهم

....

شدة أنهم هم أولياء الله وأنصار دينه ورسوله ويأبى الله ذلك فما كانوا أولياءه إن أولياؤه إلا المتبعون له الموافقون له العارفون بما جاء به الداعون إليه لا المتشبعون بما لم يعطوا لابسو ثياب الزور الذين يصدون الناس عن سنة نبيهم ويبغونها عوجا ،وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا)))((١) .

قَوْلُهُ : (لَتَرْكَبُنَّ) بِضَمِّ الْمُوَحَّدَةِ وَالْمَعْنَى لَتَتَّبِعُنَّ **(سُنَّةَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ)** وَفِي حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ -رضي الله عنه-: ((لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ شِبْرًا شِبْرًا ، وَذِرَاعًا ذِرَاعًا ، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ تَبِعْتُمُوهُمْ)) قُلْنَا :يَا رَسُولَ اللَّهِ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى !. قَالَ: ((فَمَنْ؟)) (٢).

وَجاءَ أَيضاً مِنْ حَدِيثِ اِبْنِ عَبَّاسٍ -رَضِي اللهُ عَنْهُمَا-وَفِي آخِرِهِ : ((وَحَتَّى لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ جَامَعَ اِمْرَأَتَهُ فِي الطَّرِيقِ لَفَعَلْتُمُوهُ)) (٣).

وَالسَّنَّةُ لُغَةً: الطَّرِيقَةُ حَسَنَةً كَانَتْ أَوْ سَيِّئَةً ، وَالْمُرَادُ هُنَا: طَرِيقَةُ أَهْلِ الْهَوَاءِ وَالْبِدَعِ الَّتِي اِبْتَدَعُوهَا مِنْ تِلْقَاءِ أَنْفُسِهِمْ بَعْدَ أَنْبِيَائِهِمْ مِنْ تَغْيِيرِ دِينِهِمْ وَتَحْرِيفِ كِتَابِهِمْ كَمَا أَتَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ حَذْوَ النَّعْلِ بِالنَّعْلِ (٤) .

وفيه علم من أعلام النبوة من حيث إنه وقع كما أخبر به صلى الله عليه وسلم .

وفي الحديث : النهى عن التشبه بأهل الجاهلية وأهل الكتاب فيما كانوا يفعلونه ،

---

(١)"إغاثة اللهفان"(١/٢١٢-٢١٣).

(٢)أخرجه البخاري(٣٤٥٦).

(٣)أخرجه الحاكم(٤/٥٠٢)وصححه ووافقه الذهبي،وصححه المناوي في"التيسيربشرح الجامع الصغير"(٢/٢٨٩-٢٩٠)،والألباني في"صحيح الجامع"(٥٠٦٧).

(٤)انظر:"تحفة الأحوذي"(٦/٣٣٩-٣٤٠).

....

إلا ما دل الدليل على أنه من شريعة محمد صلى الله عليه وسلم .

وبالجملة فقد دل هذا الحديث على أن ما يفعله من يعتقد في الأشجار والقبور والأحجار من التبرك بها العكوف عندها والذبح لها ،هو الشرك ، ولا يغتر بالعوام والطغام ، ولا يستبعد كون الشرك بالله يقع في هذه الأمة .

فإذا كان بعض الصحابة ظنوا ذلك حسناً وطلبوه من النبي -صلى الله عليه وسلم- حتى بين لهم أن ذلك كقول بني إسرائيل :{اجْعَلْ لَنَا إِلَهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ}[لأعراف: ١٣٨].

فكيف لا يخفى على من دونهم في العلم والفضل بأضعاف مضاعفة ،مع غلبة الجهل وبعد العهد بآثار النبوة ؟ !

بل خفي عليهم عظائم الشرك في الإلهية والربوبية ، فأكثروا فعله واتخذوه قربة .

وفيه أن الاعتبار في الأحكام بالمعاني لا بالأسماء ، ولهذا جعل النبي -صلى الله عليه وسلم- طلبهم كطلب بني إسرائيل ، و لم يلتفت إلى كونهم سموها ذات أنواط .

فالمشرك مشرك وإن سمى شركه ما سماه ، كمن يسمى دعاء الأموات والذبح والنذر لهم ونحو ذلك تعظيماً ومحبة ، فإن ذلك هو الشرك ، وإن سماه ما سماه . وقس على ذلك (١).

---

(١)"فتح المجيد"(١/٢٦٢-٢٦٣)وانظر:"كشف الشبهات"(ص١٧٥)ضمن مؤلفات الإمام المجدد/قسم العقيدة..

القَاعِدَةُ الرَّابِعَةُ

أَنَّ مُشْرِكِي زَمَانِنَا أَغْلَظُ شِرْكاً مِنْ الأَولِينَ ، لأَنَّ الأَوَلِينَ يُشْرِكُونَ فِي الرَّخَاءِ وَيُخْلِصُونَ فِي الشِّدَةِ ، وَمُشْرِكُو زَمَانِنَا شِرْكُهُمْ دَائِماً فِي الرَّخَاءِ والشِّدَةِ .

والدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾ [العنكبوت : ٦٥ **].**

هذه هي القاعدة الرابعة ــ وهي الأخيرة ــ :وفيها يقرر المؤلف –رحمه الله- أنّ مشركي زماننا أعظمُ شركـــاً من الأوّلين الذين بُعث إليهم رسول الله ﷺ .

فإن المشركين الأولين يُخلصون لله إذا اشتدّ بهم الأمر، فلا يدعون غير الله ــ عزّ وجل ــ لعلمهم أنّه لا يُنقذ من الشدائد إلاّ الله كما قال ــ تعالى ــ : ﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورا ﴾ [الإسراء:٦٧]، وفي الآية الأخرى : ﴿ وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ يعني : مخلصين له الدعاء، ﴿ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّار كَفُور ﴾ [لقمان:٣٢]، وفي الآية الأخرى : ﴿ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُون ﴾ [العنكبوت: ٦٥].

وعنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ -رَضِي اللَّهُ عَنْهُمَا-قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِأَبِي:

((يَا حُصَيْنُ كَمْ تَعْبُدُ الْيَوْمَ إِلَهًا؟)) قَالَ أَبِي: سَبْعَةً سِتَّةً فِي الْأَرْضِ ،وَوَاحِدًا فِي السَّمَاءِ، قَالَ:((**فَأَيُّهُمْ تَعُدُّ لِرَغْبَتِكَ وَرَهْبَتِكَ؟**)) قَالَ: الَّذِي فِي السَّمَاءِ، قَالَ :((يَا حُصَيْنُ أَمَا إِنَّكَ لَوْ أَسْلَمْتَ عَلَّمْتُكَ كَلِمَتَيْنِ تَنْفَعَانِكَ)) قَالَ: فَلَمَّا أَسْلَمَ حُصَيْنٌ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلِّمْنِيَ الْكَلِمَتَيْنِ اللَّتَيْنِ وَعَدْتَنِي، فَقَالَ:

((قُلْ اللَّهُمَّ أَلْهِمْنِي رُشْدِي وَأَعِذْنِي مِنْ شَرِّ نَفْسِي))(١).

فالأوّلون يُشركون في الرخاء، فيدعون الأصنام والأحجار والأشجار . أما إذا وقعوا في شدّة وأشرفوا على الهلاك فإنهم لا يدعون صنماً ولا شجرًا ولا حجرًا ولا أي مخلوق، وإنما يدعون الله وحده ــ سبحانه وتعالى ــ، فإذا كان لا يخلِّص من الشدائد إلاّ الله ــ جلّ وعلا ــ فكيف يُدعى غيرُه في الرخاء ؟!

قال ابن كثير-رحمه الله-: ((لهذا قال تعالى:{وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلْضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلاَّ إِيَّاهُ} أي: ذهب عن قلوبكم كل ما تعبدون غير الله تعالى، **كما اتفق لعكرمة بن أبي جهل** لما ذهب فاراً من رسول الله ° حين فتح مكة فذهب هارباً فركب في البحر يدخل الحبشة فجاءتهم ريح عاصف، فقال القوم بعضهم لبعض: إنه لا يغني عنكم إلا أن تدعوا الله وحده، فقال عكرمة في نفسه: والله إن كان لا ينفع في البحر غيره ،فإنه لا ينفع في البر غيره، اللهم لك علي عهد لئن أخرجتني منه لأذهبن فلأضعن يدي في يدي محمد فلأ جدنه رؤوفاً رحيماً، فخرجوا من البحر فرجع إلى رسول الله ° أسلم وحسن إسلامه رضي الله عنه وأرضاه (٢).

وقوله تعالى:{ فَلَمَّا نَجَّـٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ} أي نسيتم ما عرفتم من توحيده وأعرضتم عن دعائه وحده لا شريك له { وَكَانَ ٱلإِنْسَـٰنُ كَفُورًا} أي: سجيته هذا ينسى النعم ويجحدها إلا من عصم الله))(٣).

هذا حال المشركين القدامى ،وأما مشركوا هذا الزمان يعني : المتأخّرين

(١)أخرجه الترمذي(٣٤٨٣)،والبزار(٣٥٨٠)،والطبراني في"الكبير"(١٧٤/١٨)،"الأوسط"(١٩٨٥)،و"الدعاء"(١٣٩٣)،والروياني في"مسنده"(٨٥).

قَالَ الترمذي:"هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ".

(٢)أخرج قصة إسلامه:أبوداود(٤٣٥٩)،والنسائي(٤٠٧٨)،وأبو يعلى(٧٥٧)،والطبراني في"الكبير"(٣٧٢/١٧)،والحاكم(٤٥/٣)،والبيهقي في"الدلائل"(٦١/٥،٦٠)،وابن هشام في"السيرة"(٤١٨/٣)،وصححها الألباني في"صحيح سنن النسائي"(١٠٥/٧).

(٣)"تفسير ابن كثير"(٨٨/٥).

الذين حدث فيهم الشرك من هذه الأمّة المحمديّة فإنّ شركهم دائمٌ في الرخاء والشدّة، لا يُخلصون لله ولا في حالة الشدّة، بل كلما اشتدّ بهم الأمر اشتدّ شركهم وضلالهم.

قال الشنقيطي-رحمه الله-: ((إن الله ذم الكفار وعاتبهم بأنهم في وقت الشدائد والأهوال خاصة يخلصون العبادة له وحده، ولا يصرفون شيئاً من حقه لمخلوق. وفي وقت الأمن والعافية يشركون به غيره في حقوقه الواجبة له وحده، التي هي عبادته وحده في جميع أنواع العبادة، **ويعلم من ذلك أن بعض جهلة المتسمين باسم الإسلام أسوأ حالاً من عبدة الأوثان،** فإنهم إذا دهمتهم الشدائد، وغشيتهم الأهوال والكروب التجؤوا إلى غير الله ممن يعتقدون فيه الصلاح. في الوقت الذي يخلص فيه الكفار العبادة لله. مع أن الله -جلّ وعلا- أوضح في غير موضع: أن إجابة المضطر، وإنجاءه من الكرب من حقوقه التي لا يشاركه فيها غيره.

ومن أوضح الأدلة في ذلك قوله تعالى :{ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُون* أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَـــاوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُمْ مِّنَ السَّمَآءِ مَآءً فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُواْ شَجَرَهَا أَإِلَـــهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُون* أَمَّن جَعَلَ الأَرْضَ قَرَاراً وَجَعَلَ خِلاَلَهَآ أَنْهَاراً وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزاً أَءِلَـــهٌ مَّعَ الله بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُون* أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ}[النمل:٥٩-٦٢]فتراه -جلّ وعلا-في هذه الآية الكريمات جعل إجابة المضطر إذا دعا وكشف السوء عنه من حقه الخالص الذي لا يشاركه فيه أحد. كخلقه السموات والأرض، وإنزاله الماء من السماء، وإنباته به الشجر، وجعله الأرض قراراً، وجعله خلالها أنهاراً، وجعله لها رواسي، وجعله بين البحرين حاجزاً، إلى آخر ما ذكر في هذه الآيات من غرائب صنعه وعجائبه التي

يشاركه فيها أحد،سبحانه وتعالى عن ذلك علواً كبيراً))(١).

وقال المؤلف-رحمه الله-في بعض كتبه: ((: انّ الأوّلين يعبدون أُناسـًا صالحين من الملائكة والأنبياء والأولياء، أما هؤلاء فيعبدون أُناسـًا من أفجر الناس، وهم يعترفون بذلك، فالذين يسمّونهم الأقطاب والأغواث لا يصلّون، ولا يصومون، ولا يتنزهّون عن الزنا واللواط والفاحشة، لأنهم بزعمهم ليس عليهم تكاليف، فليس عليهم حرام ولا حلال، إنما هذا للعوام فقط . وهم يعترفون أنّ سادتهم لا يصلّون ولا يصومون، وأنهم لا يتورّعون عن فاحشة، ومع هذا يعبدونهم، بل يعبدون أُناسـًا من أفجر الناس : كالحلاّج، وابن عربي، والرّفاعي، والبدوي وغيرهم))(٢).

وقوله تعالى: (دَعَوُا اللَّه ..)الآية يدل على أنّ كلّ داع عابد،فكل من دعا الله وسئله فهو عابد له، وكل دعاء ذكره الله تعالى في كتابه فهو يشمل في الغالب دعاء المسألة، ودعاء العبادة، خاصة فيما يذكره من دعاء المشركين، فإنه يشمل دعاء المسألة، ودعاء العبادة.

فدعاء العبادة: هو طلب الثواب بالأعمال الصالحة: كالنطق بالشهادتين والعمل بمقتضاهما، والصلاة، والصيام، والزكاة، والحج، والذبح لله، والنذر له، وبعض هذه العبادات تتضمن الدعاء بلسان المقال مع لسان الحال كالصلاة. فمن فعل هذه العبادات وغيرها من أنواع العبادات الفعلية فقد دعا ربه وطلبه بلسان الحال أن يغفر له، والخلاصة أنه يتعبد لله طلباً لثوابه وخوفاً من عقابه. وهذا النوع لا يصح لغير الله تعالى، ومن صرف شيئاً منه لغير الله فقد كفر كفراً أكبر مخرجاً من الملة، وعليه يقع قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر:٦٠] ،وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ

---

(١) "أضواء البيان"(٣/٣٢٢).

(٢)"كشف الشبهات"(ص١٦٩-١٧٠)ضمن مؤلفات الإمام المجدد/قسم العقيدة.

رَبِّ الْعَالَمِينَ * لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣].

وأما دعاء المسألة: وهو دعاء الطلب: طلب ما ينفع الداعي من جلب نفع أو كشف ضر، وطلب الحاجات، ودعاء المسألة فيه تفصيل على النحو التالي:

أ- إذا كان دعاء المسألة صدر من عبد لمثله من المخلوقين وهو قادر حي حاضر فليس بشرك. كقولك: اسقني ماءً، أو يا فلان أعطني طعاماً، أو نحو ذلك فهذا لا حرج فيه، ولهذا قال ° :((مَنْ اسْتَعَاذَ بِاللَّهِ فَأَعِيذُوهُ ،وَمَنْ سَأَلَ بِاللَّهِ فَأَعْطُوهُ ،وَمَنْ دَعَاكُمْ فَأَجِيبُوهُ ،وَمَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ ،فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِئُونَهُ فَادْعُوا لَهُ حَتَّى تَرَوْا أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ))(١).

ب- أن يدعو الداعي مخلوقاً ويطلب منه ما لا يقدر عليه إلا الله وحده، فهذا مشرك كافر سواء كان المدعو حيّاً أو ميتاً، أو حاضراً أو غائباً، كمن يقول: يا سيدي فلان اشف مريضي، رد غائبي، مدد مدد، أعطني ولداً، وهذا كفر أكبر مخرج من الملة، قال الله تعالى: ﴿ وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الأنعام:١٧]،و قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ﴾ [الاحقاف:٥]،وقال-عزّ وجلّ-:﴿ وَلاَ تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لاَ يَنفَعُكَ وَلاَ يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ *

(١)أخرجه أبوداود(١٦٧٢)و(٥١٠٩)،والنسائي في"المجتبى"(٨٢/٥)و"الكبرى"(٢٣٤٨)،وأحمد(٥٣٦٥)،والبخاري في"الأدب المفرد"(٢١٦)،والطيالسي(١٨٩٥)،وابن حبان (٣٤٠٨-الإحسان)،والحاكم(٤١٢/١)،وأبونعيم في"الحلية"(٥٦/٩)،والبيهقي(١٩٩/٤)،والقضاعي في"مسند الشهاب"(٤٢١)من حديث عبدالله بن عمر-رضي الله عنهما-،وهو حديث صحيح،صححه ابن حبان والحاكم ووافقه الذهبي ،والألباني في"السلسلة الصحيحة"(٢٥٤).

....

وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلاَ رَآدَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [يونس:١٠٧،١٠٦]،وقال تعالى: ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُواْ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ * إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلا الْعَالِمُونَ ﴾ [العنكبوت:٤١-٤٣].

ودعاء المسألة متضمن لدعاء العبادة، ودعاء العبادة مستلزم لدعاء المسألة، ويراد بالدعاء في القرآن دعاء العبادة تارة، ودعاء المسألة تارة، ويراد به تارة مجموعهما(١).

(١) انظر:"فتح المجيد"(١/٣١٦-٣١٩).

تَمّتْ وّصَلَى اللهُ عَلَى مُحَمّدٍ وَآلهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

تم شرح هذه القواعد النافعة والتعليق عليها ،سائلاً الله التوفيق والسداد ،وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين ، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

فهرس المحتويات